ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1067 - الجمعة 17 ربيع الأول 1425 هـ - الموافق 17 ماي 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

أمير المؤمنين يطلق إسمه الشريف على رابطة علماء المغرب لتصير الرابطة المحمدية لعلماء المغرب

جلالته يقول:

إمارة المومنين موحدة للأمة ورائدة لتقدمها.

تنظيم الرابطة ميكون بظهير شريف يجعل منها جهازا متفاعلا مع المجالس العلمية.

كان للخطاب الملكي السامي الذي ألقاه أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس يوم الجمعة 10 ربيع الأول 1425 الموافق 30 مايو 2004 أمام ممثلي علماء الأمة الصدى الطيب لذا العلماء كافة وأعضاء رابطة علماء المغرب خاصة، حيث تلقت الأمانة العامة بالرباط سيلا من المكالمات والاتصالات من مختلف الفروع والعلماء ومحبيهم، يعبرون فيها عن ابتهاج العلماء، وتثمينهم لما جاء في الخطاب الملكي السامي، ويعتبرونه تأكيدا بما لا يدع مجالا للشك في أن الأمة المغربية بخير، وأن مقدساتها ثابتة راسخة، لا ينال منها الطامعون مهما كانت مشاربهم ومنازعهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، داعين لجلالته بالنصر والتمكين، قرير العين بولي عهده الأمير مولاي الحسن وصنوه السعيد مولاي الرشيد والأسرة الملكية الشريفة.

انظر نص الخطاب السامي في ص: 12

ذكرى مولد محمد صلى الله عليه وسلم

لقد ركزت في شهر المولد النبوي الشريف على ذكر النزر القليل من فوائد هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وها أنا مسترسل في ذكر شذرات مما أمد الله به سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم، فقد خصه الله عز وجل واختاره من أشرف نسب وأكثره مكانة وأرفعه قيمة من بين البشرية فقد روى مسلم بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم)، فقد كانت ولادته صلى الله عليه وسلم في عام الفيل وكان مولده بركة وخيرا وطالع سعد ولم يؤثر على ما أعطاه الله من الفضل يتمه ولا الأحداث الأليمة التي مرت عليه من زمن كفالة جده عبد المطلب له، ولا كذلك الفترة التي كانت ترضعه فيها مرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية التي استرضعها له جده على عادة العرب ولا بعد ذلك، بل كانت عناية الله تلحظه وعصمته أكبر حصن له، وما خصه به الله عز وجل هو سر انتصاره رغم ماحيك ضده من المؤامرات الدنيئة من أعداء الله ورسوله... ولكن الله إذا ضرب على عبده سياجا منيعا من حفظه وكلاءته فلا يقدر أي كان على ضره.

فكانت المراحل التي مر بها قبل نزول الوحي عليه يقابله الله فيها بكامل التوفيق فما رآه أحد إلا انجذب إليه قلبه بالمحبة والتقدير اللامتناهي والتجلة الصادقة والاحترام الكامل إلا من أعمى الله بصيرته وأضله عياذا بالله من سوء قضائه، واختاره الله لنزول الوحي عليه وبعثه لخلقه من أجل هدايتهم وتصحيح عقائدهم.

روى الإمام البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها واصفة كيفية بدء الوحي إذ تقول: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاء الحق وهو في غار حراء فجاء الملك فقال له: إقرأ، فقال: (ما أنا بقارئ) قال: (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني) فقال: إقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني) فقال: (إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) سورة العلق من الآية 1 إلى 5. فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: (زملوني زملوني) فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: (لقد خشيت على نفسي) فقالت خديجة رضي الله عنها: كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وكان ابن عم خديجة وكان امرءا قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل في العبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم إسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس(أي جبريل أو الوحي) الذي نزل على موسى يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أو مخرجي هم ؟) قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا) أوردت قصة بداية الوحي عليه صلى الله عليه وسلم وأشرت إلى البعض مما لاقاه قبل نزول الوحي عليه وبدون ذكر ما واجهه به أعداء الإسلام لكثرته ولكنه محفوظ في كتب السيرة ولله الحمد، ولقد صدق ورقة فيما أخبر به النبي من أن قومه سيخرجونه من مسقط رأسه مكة ويعادونه لأن المجاهر بالحق لا يؤازره في دعوته إلا من قذف الله في قلبه الهداية... وفعلا من تتبع كتب السيرة يرى أن المسلمين واجهوا من التنكير عليهم والتنكيل بهم والتهجم على عقيدتهم الإسلامية ما تنفطر له الأكباد من ظهور الإسلام إلى يومنا هذا ... لكن ذلك لا يضر الإسلام ولا ينقص منه. فالعداء لدين الإسلام لم يتوقف، ويلبس في كل زمن زيا جديدامن الدعايات المغرضة التي تحاول تشويه هاته الرسالة الهادية إلى أقوم طريق لكن لا بأس فالله قادر على إتمام نوره ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ولقد تلقى عليه الصلاة والسلام جميع أنواع الإذايات هو وصحبه الكرام ولكن الإيمان الراسخ يهزم جيوش المكر والصلف ونهب القيم، المهم هو الوقوف عند الحق والابتعاد من الظلم والتمسك بالعدل الذي به قامت السماوات والأرضون قال الله لنبيه: "فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" سورة يونس، الآية:49.

وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام لما نزلت هذه الآية قال: (لا شك ولا أسأل) رواه بن كثير عن قتادة.

لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: "فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين" سورة الحجر، الآية:49، صعد على الصفا ونادى يا بني عدي حتى اجتمعوا ومن لم يستطع الحضور بعث من ينوب عنه ويستمع لما يقال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟) قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) فقال أبو جهل تبا لك سائر اليوم، ألهذا أجمعتنا فنزل قوله تعالى: "تبت يدا أبي لهب وتب" سورة المسد، الآية1.

لكن ضلال ومقت وكفر وحقد أبي جهل وأمثاله من أعداء الإسلام لم ينقص من انتشار الدعوة ودخول الجماهير في الإسلام فضلا منه تعالى ومنة على من هداه وفتح بصيرته، فلم يتردد عليه الصلاة والسلام في الجهر بالدعوة عندما أنزل الله عليه قوله: "فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين" فبلغ الدعوة وأدى الأمانة للقريب وللبعيد وامتثل ما أمر به واستجاب له وطبقه حرفيا فعندما نزل عليه قوله تعالى: "وانذر عشيرتك الأقربين" سورة الشعراء، جمع فورا ذويه وأهل قرابته ومن ينتمي لعشيرته وقام فيهم موجها وراشدا وواعظا فقال: (يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلاها) متفق عليه واللفظ لمسلم.

فإحياء ذكرى مولده صلى الله عليه وسلم يندرج في الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن بما كان يدعو الناس إليه بالكتاب المبين وبقوله وعمله وتقريراته فذلك احتفاء به وإظهار لمحبته وبعث لروح الإسلام الذي ينشر في منهاجه المستقيم ما فيه صالح الكائن البشري، فالسر في وجود الخلق والقصد منه لا يعلمه إلا خالقه الذي قال وهو أصدق القائلين: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) فلننتبه جميعا لما خلقنا له ولا نغفل عن أداء واجبنا.

وفقنا الله لما فيه رضاه، وفرج عن الأمة الإسلامية مما تعانيه، وأخذ بيد الإنسانية لما فيه مصلحتها وهدايتها ونشر السلم والمحبة والوئام فيما بينها، إنه سميع مجيب.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل القضائي في الإسلام

-8-

في الأعداد الماضية من هذا المنبر الإعلامي لرابطة علماء المغرب تناولنا الحديث عن العدل والعدالة والإنصاف وسلطة التشريع من وجهة النظر التي تقرها الشريعة الإسلامية وأتينا على آيات قرآنية وأحاديث نبوية ووصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تعيينه لبعض الصحابة في مناصب قضائية سواء بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم نيابة عنه، أو ببعض الولايات بعيدا عنه، وكانت تلك المناسبات مرجعية لمعرفة المسطرة القضائية من أجل الوصول إلى صاحب الحق: "لاتقض حتى تسمع من الآخر" ولا تقض وأنت غضبان" لأن سماع المدعي عليه وجوابه عما يدعى به عليه يفتح الطريق أمام القاضي للوصول إلى معرفة الحقيقة والقرب إلى الصواب، وهي توجيهات نبوية لامجال لتجاوزها عندما يكون الهدف هو العدل والإنصاف ورأينا في العدد الماضي أسماء الصحابة الثمانية الذين استعملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لينوبوا عنه في ممارسة السلطة القضائية.

ونتابع مع القراء الكرام الحياة القضائية في عهد الخلفاء الراشدين وقد ازدادت رسوخا واتضحت معالمها بتدخل بعض الخلفاء الراشدين في التوجيه الاجرائي للقضاء من أجل الوصول إلى العدل والإنصاف بأيسر الطرق.

عندما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وفارق الحياة الدنيا واجه المجتمع الإسلامي بالعاصمة النبوية المدينة المنورة مشكلة الخلافة التي لم يحسم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، واطلاعنا على موقف سيدنا عمر بن الخطاب عندما بلغه خبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضه للخبر حتى سمع قول الله تعالى "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم" فعاد إلى واقع الحال ومواجهة الموقف بما يسير مع المنهج النبوي الكريم، وبعد الاتفاق على اعتبار مرجعية الخلافة في قريش فهم السابقون للإسلام ومنهم العشرة المبشرون بالجنة وهم صفوة العرب وجيران الحرم المكي المخصص لأداء الركن الخامس للإسلام وهو الحج، ومن قريش وفيهم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستنادا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يزال هذا الأمر في قريش مابقي فيهم اثنان" كما رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وبعد مبايعة أبي بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة كأول خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلم السلطة الإسلامية بموافقة قادة الصحابة رضي الله عنهم ألقى خطابه السياسي الأول في تاريخ الحياة الإسلامية مشيرا فيه إلى بعض قواعد الحكم وخصوصا في ممارسة السلطة للفصل بين الناس (القضاء) فقال أبو بكر رضي الله عنه :

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرقي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

ارتسامات عن ندوة الحركة الوطنية والمقاومة بإقليم شفشاون

■ بدعوة كريمة من المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شاركت ضمن مجموعة من الاخوة الأساتذة الباحثين في الندوة العلمية عن الحركة الوطنية والمقاومة بإقليم شفشاون (مابين:1913-1956) يومي 10و11 أبريل:2004.

لقد كان برنامج الندوة مكثفا وغنيا بالعناوين التي تغطي سائر محاور موضوع الندوة، وخلال الجلسات الست التي عقدت بقاعة الاجتماعات بعمالة إقليم شفشاون، استمع الحاضرون إلى سبعة عشر عرضا من الأبحاث القيمة التي قدمها الأساتذة الباحثون خلال يومين كاملين، وموضوع الندوة يؤرخ لمرحلة حساسة من تاريخنا الوطني مابين: (1913-1956م) ويكشف عن الروح الجهادية التي يتمتع بها المواطن المغربي، وعن الاستماتة في المقاومة ضد المحتل الأجنبي، التي تمثلت في خوض معارك حاسمة ضد جيش الاحتلال الاسباني، معارك عديدة هنا وهناك جاوز عددها ألف معركة.

وتناولت المداخلات دراسات مفصلة، اعتمدت على الوثائق الرسمية وغيرها، وتناولت بعض الأبحاث إحصائيات ودراسات ميدانية عن المقاومة والمقاومين، وبعضها تناول التعريف بالمؤلفات التي كتبها الأجانب في موضوع المقاومة المغربية المسلحة، سواء المنصف منها وغير المنصف.

وتناول بعضها موضوع التقارير السرية التي كان يرفعها القادة العسكريون لرؤسائهم، أو يسجلها بعض المدنيين عن أوضاع البلاد، وعن الحالة النفسية للسكان الرافضين للاحتلال رفضا باتا، وعن معتقداتهم، وعن كراهيتهم وبغضهم لاستعمار النصارى لبلادهم، وعن الأوضاع الاجتماعية والفكرية والدينية، بصفة عامة... وهي تقارير لها أهميتها في بلورة عقلية المستعمر، وكيف كان ينظر إلى البلاد وأهلها... إلى غير ذلك من الموضوعات المفيدة كموضوع الرواية الشفوية، ومتى تكون ذات قيمة تاريخية.

وكانت الكلمات القيمة التي ألقيت خلال الجلسة الافتتاحية والختامية من طرف السيد المندوب السامي للمقاومة وجيش التحرير، ومن طرف السيد عامل إقليم شفشاون كانت مدركة تمام الإدراك لقيمة هذه الندوة، وأهميتها التاريخية والوطنية والعلمية، والتي نظمت تحت الرعاية السامية لملك البلاد سيدي محمد السادس حفظه الله ونصره، ومشجعة على المضي في البحث والدراسة لجوانب أخرى من هذا الموضوع القيم الذي حظي باهتمام الباحثين والدارسين، والذي تعهدت المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير بطبعه ونشره. مشكورة.

ومما آثار اهتمام الحاضرين في هذه الندوة مشاهدتهم لمعرضين معبرين، لهما مدلول تاريخي، وثقافي، عرضت بهما صور لعدد وافر من القادة العسكريين الاسبانيين، من الجينرالات والكولونيلات، وكبار الضباط، مع صور بعض الخرائط، وبعض القطع الحربية، وصور بعض المجاهدين، وبعض رجال الحركة الوطنية بالإقليم، وختمت هذه الندوة العلمية المباركة بقراءة الفاتحة على أرواح الشهداء، من المجاهدين والمقاومين، وبالدعاء لعاهل البلاد المفدى، وبرفع برقية الولاء والإخلاص للجناب الشريف ملك البلاد حفظه الله وسدد خطاه.

فندوة الحركة الوطنية والمقاومة بإقليم شفشاون تكللت بالنجاح والتوفيق بسبب مابذله المنظمون لها من جهود مشكورة، وتنظيم محكم، وصدرت عن الندوة توصيات واقتراحات في غاية الأهمية، وكل ذلك سينشر مفصلا بحول الله.

وكان عنوان المداخلة التي ساهمت بها في هذه الندوة العلمية بالعنوان الآتي:

بطل نموذجي للمقاومة ضد الاستعمارالاسباني بمنطقة شفشاون

مقدمة: إن المقاومة المغربية للاحتلال الأجنبي مما فطر الله عليه هذه الأمة منذ عهود طويلة، فالمغربي حر أصيل بفطرته محب لوطنه غيور عليه، والمقاوم المغربي بحمد الله يتوفر على مؤهلات نادرة المثال تجلت في حروب كثيرة، كمعركة فتح الأندلس ومعركة الزلاقة، ومعركة وادي المخازن، ومعارك تحرير الثغور المحتلة.

ومن هذه الروح القتالية والبطولية انطلقت الإرادة الشعبية لمقاومة الاحتلال الفرنسي والاسباني مابين سنة: 1913. وسنة:1956 والدارس لهذه الفترة من تاريخ المغرب يقف مندهشا أمام الإصرار والصمود الذي أبداه المقاوم المغربي ضد الاحتلال الأجنبي، ولاعجب في ذلك، فالمغرب سليل المجاهدين الذين نشروا الإسلام في أوروبا، وغرب افريقيا، وقاوموا الغز والصليبي، البرتغالي والإسباني لعدة قرون، وبفضل أولئك المجاهدين الأحرار استمر إشعاع الحضارة الإسلامية بالأندلس لثمانية قرون.

وابتداء من احتلال سبتة من طرف البرتغاليين سنة:1415م ومابعدها من الثغور والجيوب على المحيط الأطلسي، والأبيض المتوسط، ابتداء من هذا التاريخ عقد المغاربة العزم في الشمال والجنوب على صد العدوان الصليبي الشرس، وتحمل مغاربة الشمال مسؤولية جسيمة في صد الغزو البرتغالي والاسباني، ومنذ: 1471م الذي هو تاريخ احتلال طنجة وأصيلا من طرف البرتغاليين تأسست رباطات للمجاهدين بالشمال على ساحل المتوسط، وعلى الساحل الأطلسي، وقرب طنجة وأصيلا وغيرهما، ومنها: رباط الخروب بجبل حبيب، الذي كان يرأسه المجاهد الشريف العلمي الحسن ابن جمعة ابن منطقة شفشاون، والذي انتقل على يد خلفه وابن عمه البطل المجاهد علي بن راشد، إلى مدينة شفشاون التي تأسست كمركز جهادي بالدرجة الأولى، ومنها كانت تنطلق العمليات الجهادية لتحرير الثغور المحتلة بشمال المغرب.

ورباطات الشمال الجهادية عملت على حصر البرتغاليين والإسبان داخل حصونهم بالثغور المحتلة، وكلما حاولوا التسلل التوسع في داخل البلاد وجدوا المقاومين لهم بالمرصاد.

واستمر الأمر على هذه الحال إلى أن تحررت جل الثغور المحتلة على عهد الدولة العلوية الشريفة، وبخاصة على عهد المولى إسماعيل وعهد سيدي محمد بن عبد الله، وظلت سبتة ومليلية، تشكلان خطرا مستمرا من طرف الاسبانيين على المغرب، وبفضل يقظة الملوك العلويين الأماجد حافظ المغرب على استقلاله وسيادته لفترة طويلة من الزمان، وعملت حكمة سياسة المولى سليمان رحمه الله على صد الغزو الفرنسي على عهد (نابليون بونبارت) الذي احتل اسبانيا، ونصب أخاه حاكما عاما عليها، ومابين المغرب واسبانيا إلا بضعة عشر كيلو مترات، واشتدت الأطماع الفرنسية في احتلال المغرب بعد احتلال الجزائر سنة 1830م، وبعد احتلال اسبانيا لمدينة تطوان سنة:1859 م، اشتد التنافس بين الدول الأوروبية من أجل التدخل في شؤون المغرب، الذي كان آخر منطقة بشمال افريقيا تفرض عليها الحماية الأجنبية، وبضغوط مكثفة من طرف الدول الأوروبية.

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

وفي سنة:1913م وجد المواطنون بالشمال أنفسهم وجها لوجه أمام جحافل الجيش الاسباني، الشيء الذي أيقظ في نفوسهم من جديد روح الجهاد والمقاومة، وأصبح لا هم لهم إلا كيفية التخلص من الاحتلال البغيض لأراضيهم، وابتداء من ذلك الوقت بدأت الملاحم بين الجيش الاسباني، ورجال المقاومة والجهاد، تلك الملاحم التي أبانت عن صدق نوايا المجاهدين، وعن معنوياتهم العالية في القتال ومقاومة الدخيل، وفي هذا الوقت بالذات، دعا العلماء والفقهاء، وأبطال المجاهدين إلى تنظيم المقاومة المسلحة لتكون هادفة وفعالة، وعقدت لقاءات ومؤتمرات في هذا الشأن، وأنشئت رباطات للجهاد، ونظمت عملية (الإدالة) . التناوب على الجهاد . وجمعت الرباطات الجهادية بين المجاهدين من مختلف جهات الشمال، ومن أشهر الرباطات الجهادية رباط: (دار بنقريش) بجبل غرغيز المشرف على مدينة تطوان.

ففي الجناح الغربي الذي يتشكل من بلاد جبالة، والهبط، وغمارة، والأخماس، واغصاوة، وبني أحمد..تم تنظيم الجهاد بتخطيط وتوجيه من بعض زعماء القبائل كان من أشهرهم الشريف مولاي أحمد الريسوني، وفي الجهة الشرقية من بلاد الريف نظم الجهاد بقيادة الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، وتوالت المعارك وكان من أشهرها بالريف معركة أنوال سنة:1921، ومعركة العقبة الحمراء ببني حسان، بين شفشاون وتطوان، سنة:1924 وفي المعركتين الخطيرتين تكبد الجيش الاسباني خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، كما تكبد خسائر أخرى في غيرهما من المعارك.

(يتبع)

(تتمة ص:1)

"أما بعد، أيها الناس قد وليت أمركم، ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن وسن النبي صلى الله عليه وسلم السنن فعلمنا وعلمنا، اعلموا إن أكيس الكيس التقوى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوى حتى آخذ منه الحق، أيها الناس، انما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني " كما في طبقات ابن سعد،

وهكذا اشتمل الخطاب الأول للخليفة الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم على قاعدة ورؤية إسلامية شاملة "الضعيف أمام الحاكم ومنهج القاضي قوى حتى يوخذ له بحقه، والقوي ضعيف حتى يوخذ منه حق الغير، وإيصال الحق إلى صاحبه هو الدور الذي يقوم به القاضي وهو يمارس سلطة الفصل في الخصومات.

لم تسهم ظروف الحياة الإسلامية للخليفة الأول للنظر بعمق في الشؤون القضائية لسببين أولهما: مواجهة سيدنا أبي بكر لحروب الردة وامتناع بعض القبائل من أداء الزكاة وهذا أمر هام جدا في تلك الفترة والناس حديثي العهد بالإسلام، وثانيا لعدم اتساع الدولة الإسلامية ترابيا.

وقد أسند سيدنا أبو بكر الصديق السلطة القضائية بالمدينة المنورة إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليتحمل معه جزءا من عبء الخلافة، وقد ظل سيدنا عمر بن الخطاب سنتين وهويجلس على كرسي القضاء بالمسجد النبوي، ولم يأتيه خصمان في نزاع، ولعل مرد ذلك إلى أن المجتمع المدني كانت تغلب عليه التربية النبوية على الصلاح والتقوى والزهد في الدنيا والفطرة الدينية الإيجابية للحياة الإسلامية ورسول الله صلى الله عليه وسلم حديث عهد بمفارقتهم، ولسبب آخر وقد يكون حاسما في موقف المجتمع الإسلامي الأول في المدينة من عدم خلق خصومات شخصية وهو الفترة القصيرة التي قضاها سيدنا أبي بكر الصديق في الخلافة الإسلامية فقد ولى في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر للهجرة، وانتقل إلى الرفيق الأعلى في شهر جمادى الآخرة في السنة الثالثة عشرة، فمدة الخلافة لم تتجاوز العامين إلا ببعض الشهور، ومواجهة حروب الردة شغلت الدولة الإسلامية والخليفة الأول عن التوسيع في وضع المناهج والقواعد القضائية أكثر مما كان معروفا، والإشارة التي أعطاها رضي الله عنه في خطابة الأول كانت كافية، وعمر بن الخطاب القاضي المعين نيابة عن الخليفة لم يأته خصمان في نزاع ما، وهذه ظاهرة إيجابية إلى أقصى الحدود، وقد تكون الهيبة العمرية، من أسباب عدم نشوء خصومات بين المسلمين في ذلك الوقت، وذكر الماوردي في كتابه "أدب القاضي" أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعث أنس ابن مالك إلى البحرين قاضيا بين الناس، وبهذا يكون عهد الخليفة الأول وهو مرحلة قصيرة لم ينب عنه للقضاء إلاعمر وأنس بن مالك رضي الله عنهما، وإلى العدد المقبل إن شاء الله.

الوثاق

تفسير سورة الإخلاص

للعلامة سيدي محمد بن عبد الرحمن بن زكري

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

بسم الله الرحمن الرحيم: قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد.

سبب نزول سورة الإخلاص، أن اليهود وقيل المشركين نالوا النبي(ﷺ)، فقالوا صف لنا ربك وانسبه، فارتعد رسول الله(ﷺ) حتى خر مغشيا عليه، ونزل عليه جبريل بهذه السورة، وهي تعدل ثلث القرآن كما في الحديث أي في الثواب، لاشتمالها على أصل علوم القرآن الثلاثة، وهي التوحيد والأحكام والقصص، أي لم يقصد منهما غير التوحيد الذي هو أشرف بخلاف غيرها من السور، فإنه وإن تضمنته تضمن غيره، وهو ضمير المسؤول عنه مبتدأ، واسم الجلالة خبر أول، وأحد ثان، واسم الجلالة الثاني ثالث، والصمد رابع.

وقال البصريون و ضمير الأمر مبتدأ، والجملة من إسم الجلالة وأحد مفسرة خبر، وذلك والله أعلم لأمرين.

■■■■

أحدهم أن الإخبار باسم الجلالة في هذا المقام لا يفيد، لأنهم لم يسألوا عن الإسم ولا عن المسمى من حيث دلالة الإسم، ثانيهما أن جعل اسم الجلالة مبتدأ لا يلزم عليه تكرير، لأن مضمون الجملة المنجز بها ثانيا أعني الله الصمد غير مضمون الأولى، بخلاف جعله خبرا، وسيأتيك جوابها.

■■■■

ويلزم على قولهم خلو السورة من جواب السؤال بالقصد الذاتي وإن تضمنته بتعاون الجواب عن غير مسول عنه وأحد بدل، إذ إسم الجلالة هو المقصود بالحكم قصدا عاتيا إذ هو روح الجواب وتمامه، وأحد جيء به لنكتة ياتي بيانها، فهو خبر آخر، والضمير فسر بتفاسير أمسها بالمقام أنه الذي يعمد إليه في الحوائج لما ياتي، ثم أحد متضمن لوحدانية الذات والصفات والأفعال على أكمل وجه، إذ الأحدية مبالغة في الوحدة فلا تتحقق إلا إذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن أن تكون الحمد ولا أثر منها، والصمد بالمعنى الذي ذكرناه متضمن للقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والحياة والكلام.

■■■■

وقوله لم يلد مثبت للبقاء أي لا يخلفه أحد ولم يولد مفيد للقدم، أي لم يتنشأ وجوده عن شيء، فهو الأول والآخير، ويفيدان معا الوجود، أي البقاء، عدم آخريته، والقدم عدم أوليته.

■■■■

ويستفاد من القدم الغنى، لأن الإفتقار ملزوم للحدوث، وقوله ولم يكن له كفؤا أحدا دال على مخالفته للحوادث، فالسورة مقيدة جميع العقائد الإلهية، ومن هنا تبين جواب الصحابي الذي كان يقراها لأصحابه في الصلاة، وذلك أن رسول الله(ﷺ) بعثه على سرية فكان يفعل ذلك، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله(ﷺ) فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن اقراها، فقال رسول الله(ﷺ) أخبروه أن الله يحبه، وبحبه إيّاه أحبّه هو بشهادة يحبهم ويحبونه، فحب الله إيّاه انتج محبته إياه وحبه لله بقلبه انتج ظهور ذلك في أعماله، وجريانه على جوارحه، فجعل يقرأ السورة المذكورة لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره، فكان جزاءه الإخبار والتبشير على لسان الرسول(ﷺ).

■■■■

وقوله لأنه صفة الرحمن متضمن لسببين كل منهما يقتضي محبتها أولهما اشتمالها على بيان صفاته تعالى، وثانيهما أن ذلك الإشتمال جاء من حيث الرحمة لتوسط العمل فيها، فإنه من الأسماء الدالة على معنى الرحمة، إذ معناه الذي يعمد إليه في الحوائج، ومنه تطلب فهو ملجأ السائلين ومعتمد الطالبين والمعروف بقضاء حوائج المحتاجين، هذه حكمة إضافته الصفة للرحمن مع أنه غير مذكور في السورة والله أعلم.

■■■■

وافاد قوله فأنا أحب أن أقرأ بها، يعد ذكر السبب أن له حالا اقتضت ذلك، فلا يحكم بحكمه إلا لمن ماثله فيها، قال الشيخ زروق في عدة المريد: لو كانت القراءة بها أفضل في حق كل أحد من حيث ذاتها، لكان(ﷺ) أولى بذلك، فإن قلتم إنما عمل بغيره للتشريع، قلنا فالصحابة كانوا أحرص منا على الخير وأعلم بالسنة، ولن يأتي آخر هذه الأمة بأحسن مما أتى به أولها، نعم والحديث المذكور شاهد بأن ذلك لا يصح عموما، لأنه لو صح ما شكوه، وهو صاحب حال في محبتها، ولولا ذلك ما عذره عليه السلام، إذ لم ينكر عليهم إنكارهم.

وساله عن السبب فجعل الحكم معلقا عليه، فلا تصح الإشاعة في العموم، ولا الإستظهار بذلك لمثله إلا إذا وافقه في علة حكمه أو ما في معناها والله سبحانه أعلم.

والذي في الحديث أن الرجل المذكور أنه كان يضيفها لغيرها في رواية بالتقديم وفي اخرى بالتأخير هـ.

■■■■

وفي صحيح البخاري عن أنس، كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة ثم يقرأ بسورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه وقالوا إنك تفتتح بهذه السورة أما ترى أنها تجزيك حتى تقرأ بأخرى، فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال ما أنا بتاركها، إن أحببتم أأمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره.

■■■■

فلما أتاهم النبي(ﷺ) وأخبروه الخبر، فقال يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة، فقال إني أحبها، قال حبك إياها دخلك الجنة هـ.

■■■■

قال ابن حجر، قيل هذا الصحابي هو كلثوم بن الهدم، بكسر الهاء، ونظر فيه بأن في حديث عائشة في هذه القصة أنه كان أمير سرية، وكلثوم بن الهدم مات في أوائل ما قدم رسول الله(ﷺ)، وذلك قبل بعث السرايا، وذكر غيره أن الرجل هو كرز بن زهدم وعلى هذا، فالذي كان يؤم في مسجد قباء غير أمير السرية، ويدل على تغايرهما أن في رواية أنه كان يبدأ بقل هو الله أحد، وأمير السرية كان يختم بها، وفي هذا أنه كان يصنع ذلك في كل ركعة، ولم يصرح بذلك في قصة الآخر.

■■■■

وفي هذا أن النبي(ﷺ) سأله وأمير السرية أمر أصحابه أن يسألوه، وفي هذا أنه قال إنه يحبها فبشره بالجنة، وأمير السرية قال إنها صفة الرحمن، فبشره بأن الله يحبه انتهى.

والسائلون إن كانوا اليهود، فقد كانوا في ذلك الوقت عارفين به تعالى من كتابهم الذي كان بأيديهم مستقيما.

■■■■

وإن كانوا العرب فقد كانوا عارفين به تعالى بتقدم دعوة النبي(ﷺ) إياهم لعبادة الله تعالى في عموم أوقاته، وحالاته مع ما كان فيهم من بقايا شرائع ابراهيم عليه السلام، فكأنه قيل هو الذي تعرفون، إذ سؤالهم إنما كان تعنيتا، نظيره ليقرب إذا قيل للعبد من سيدك؟ فيقول هو خليفة أو هو الملك، فلاشك أنه جواب تام في بيان المسؤول عنه لشهرة الخليفة واتضاح شأنه.

ثالثها إذا كان الأمر كذلك فلم اتبع بأحد، وذكر بعده، رابعها لم خص بالذكر دون غيره من الصفات وهذا أخص من الأول كما لا يخفى؟

وجوابهما معا: أنه نداء على السائلين بالغباوة بمقتضى سؤالهم وزيادة توثيق للجواب أي هو أحد لا يلتبس ولا يشتبه حتى يسأل عنه، إذ الأمر الذي هو أبلغ، ووجه آخر وهو الرد على السائلين في اعتقادهم الشركة، وقالت اليهود عزير بن الله، وقال المشركون الملائكة بنات الله فأبطل رأيهم بقوله أحد، خامسها لم نكر أحد وهلا سلكت فيه طريق التعريف كما في الصمد؟

وجوابه الإشارة إلى دفع توهم التبعية ودفع ما توهم من توقف تمام الجواب وإفادة بيان المسؤول عنه على الصفة.

سادسها إن التنكير وإن ارتكب لما ذكر فهو مبيت لما يفيده التعريف من القصر الملايم للمقام.

■■■■

وجوابه أن معنى أحد محصل لهذه النكتة بدون تعريف، فإن الأحدية يستحيل الإشتراك في معناها، إذ أحدية مع الاشتراك.

سابعها لم كرر اسم الجلالة والمعنى تام بدون تكرير، وجوابه أن الإشارة إلى أن النبي(ﷺ) على يقي وتحقق وتثبيت في جوابه وفيه إشارة إلى الافتخار بالعبودية لهذا الرب الجليل والتلذذ بذكره مع ما فيه من التوكيد ومن التوطية والتمهيد، لذلك الصمد، إذ لو قيل هو الله أحد الصمد، لكان فيه ركاكة بالجمع بين طريقتين متنافيتين في صفتين لشيء واحد من غير فاصل، وتأمل قولك هو الملك جليل الشجاع، وقولك هو الملك جليل الملك الشجاع، يظهر لك الفرق، ووجه آخر وهو أن تكون الإعادة إعانة واستعداء الاستحضار الجملة من المفرد، أعني الصفات المتعددة من الإسم الجامع.

ثامنها: لم جيء بالصمد وما المقتضى لذكره في هذا المقام مع تضمن اسم الجلالة له كسائر الصفات؟

وجوابه إرادة فضيحتهم في التعنيت وزيادة الإيضاح والبيان، إذ مكناه الذي يصمد إليه في الحوائج، إذ منه تطلب وتسل، أي تطلبونها منه وتسلونه إياها كغيركم، فأنتم عارفون به، فلا وجه للسؤال، وكأنه قيل هو الذي تعرفونه بطلبكم منه.

تاسعها لم غير الأسلوب وهلا نكر كل أحد؟ وجوابه الإشارة لقصر عليه، مع قضاء الوطر، من دفع توهم التبعية، وبيان قصد الخيرية.

عاشرها: أنه لا يلزم نفي الولد والوالد عدم الإمكان المطابق للواقع، لاحتمال أن يكون اتفاقا، وجوابه أن جواب سؤالهم لا يتوقف على بيان الإستحالة، وذكر دليلها، وإنما يتوقف على بيان عدم الوقوع، وقد بين تعالى استحالة مطلق الافتقار في غير ما آية، وذكر براهين ذلك.

الحادي عشر: انه لا يلزم من نفي وقوع ذلك في الحاضر نفي وقوعه في المستقبل، وجوابه أنه إنما احتيج لنفي الماضي لأنه الذي ادعى ولم يدع أمر أنه لم يلد في الماضي ويلد في المستقبل، وجيء بلم يولد علي وتيرة ما قبله.

الثاني عشر: لم ذكرت صفة التنزيه عن المثل تضمن الإسم الجامع لها، وقول السائلين وانسبه لا يقتضيهما كما اقتضى ما قبلهما.

■■■■

وجوابه أنه كالبيان لنفي الولدية والوالدية لاقتضائهما الجنسية والمماثلة، وكالدليل لبطلان دعوى الولدية كأنه قيل من ادعيتم له النبوة لم يكن مماثلا، بل منافيا غاية المنافات لفنائهم وعجزهم وافتقارهم وغير ذلك من سمات حدوثهم.

الثالث عشر: لم يكن له كفؤا مفيد للمعنى المرادف فلم عدل لأكثر منه وما الداعي إلى ذكر أحد؟

وجوابه أنه بلغ في العظمة والكبرياء، فإن الواقع في المعدول عنه الحكم على أفراد المثل بعدم الوجود، وفي العدول إليه الحكم على كل أحد بعدم المثلية، ويندرج في عموم كل منهما عظماء الخلق وكبرائهم من النبيئين والمرسلين والملائكة المقربين، لكن ليس في أول ما ينبه لهذا المعنى، إذ المتعقل منه نفي المثل وهو معنى تام مستقل.

■■■■

وفي الثانية ينبه له إذ التعقل منه نفي المثلية عن كل أحد، فهما كالإجمال والتفصيل والحاصل أن مضاد الأول بعض مضاد الثاني، إذ نفي المثلية عن كل أمر صريح في نفي نفس المثل ونفي نفس المثل، وإن كان مستلزما لنفي المثلية عن كل أحد في الواقع لكن ليس في الكلام ما يوقظه له ويهدي إليه.

الرابع عشر: لم قدم خبر كان على رتبته والظرف على عامله وجوابه قصد رعاية الفواصل، وأن المراد بيان صفته تعالى لا نفي المثلية عن الأمر لذاته، فالحديث عنه، فقدم ذكر ضميره.

■■■■

الخامس عشر: لم ترك العطف في قوله الله الصمد وقوله لم يلد وارتكب فيما بعد؟

وجوابه ان الله الصمد ليس جملة على ما اخترناه بل الكلمات المذكورة إخبار متعددة كما تقدم، وعلى رأي الجمهور، قال الطبري الله الصمد محقق لمعنى الجملة المتقدمة ومبين لها، إذ الصمدية دليل الأحدية، فإنه لو لم يكن أحدا لما كان غنيا مطلقا، لا يحتاج إلى شيء، ويحتاج الله كل شيء، ولهذا لم يعطف لم يلد لأنه محقق لمضمون لا يفتقر إليه كل شيء لا ينبغي أن يكون والدا ولا مولودا، لأن ذلك يستلزم الإقتصار بالضرورة، وعطف لم يولد على لم يلد، لأنه لا ينبني على معنى لم يلد، فلم يكن محقق لمعناه، بل الجملتان محققتان لمعنى الجملة السابقة، ولهذا عطف لم يكن له كفؤا أحد، لأن مضمونه غير محقق لمضمون ما قبله.

والله تعالى أعلم بالصواب.

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه كان الله تعالى للجميع.

في ظلال الحديث :

الحديث رقم:102:أرحم الخلق بالخلق

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن أبي صالح قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يناديهم: " يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة " رواه الدارمي.

تخريج الحديث:

أخرجه الدارمي في سننه، كتاب المقدمة، باب كيف كان أول شأن النبي (ﷺ) ح 15، وأخرجه البيهقي في الدلائل عن أبي هريرة، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، ج1ص91ح100عن أبي صالح عن أبي هريرة، وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ج6ص325ح31782، والطبراني في المعجم الصغير ج2ص168ح264، والشهاب في مسنده، ج2ص189ح1160و1161 ،والسيوطي في الجامع الصغير عن أبي صالح مرسلا عنه عن أبي هريرة، وقال الألباني (صحيح)انظر حديث رقم:2345في صحيح الجامع.

سند الحديث

هذا الحديث أخرجه الدارمي في سننه، وقال: أخبرنا إسماعيل ابن خليل أخبرنا علي بن مسهر أخبرنا الأعمش عن أبي صالح قال وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة: أخبرنا إسماعيل بن خليل: هو أبو عبد الله اسماعيل بن الخليل الخزاز، من كبار تبع الأتباع، قال ابن حجر في التقريب: ثقة، وكذا قال الذهبي والحضرمي، وقال أبو حاتم، كان من الثقات، توفي رحمه الله سنة 225هـ.

أخبرنا علي بن مسهر: هو أبو الحسن علي بن مسهر القرشي الكوفي قاضي الموصل، من الطبقة الثامنة، الوسطى من الأتباع، وثقه الذهبي والنسائي ويحيى بن معين، وقال ابن حجر في التقريب: ثقة له غرائب بعد أن أضر، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وقال ابن حنبل: صالح الحديث، أثبت من أبي معاوية الضرير في الحديث، وقال أبو زرعة: صدوق ثقة، وقال أحمد بن عبد الله العجلي: كان ممن جمع الحديث والفقه، ثقة، توفي رحمه الله تعالى سنة 189هـ.

أخبرنا الأعمش: الحافظ الثقة شيخ الإسلام أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي من الطبقة الصغرى من التابعين، أصله من بلاد الري رأى أنس بن مالك وحفظ عنه، قال بن المديني له نحو من ألف وثلاثمائة حديث وقال بن عيينة كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض، وكان رأسا في العلم النافع والعلم الصالح توفي رحمه الله بالكوفة في ربيع الأول سنة 148 وله 87سنة.

عن أبي صالح: أبو صالح السمان ذكوان المدني مدني كوفي تابعي ثقة وهو أبو سهيل الزيات السمان مولى جويرية الغطفانية وكان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة شهد الدار وحصار عثمان رضي الله تعالى عنه وسأل سعد بن أبي وقاص وسمع عن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وعدة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، ذكره أحمد فقال ثقة ثقة ممن أجل الناس وأوثقهم ، قال الأعمش سمعت من أبي صالح ألف حديث، توفي سنة إحدى ومائة رحمه الله تعالى.

أهمية الحديث :

هذا الحديث يعد من أعظم الأحاديث، من خلاله يبين الحبيب المصطفى جوهر الرسالة المحمدية الخالدة، فهو نبي الرحمة، بل هو الرحمة المهداة لأمته والناس أجمعين، ورسالته رسالة الرحمة للمسلمين فيما بينهم، وكذلك للناس أجمعين بل حتى للحيوانات والنباتات...

مفردات الحديث

"إنما أنا رحمة": أي ذو رحمة أو مبالغ في الرحمة كأني عينها.

"مهداة": أي ما أنا إلا ذو رحمة للعالمين أهداها الله إليهم.

المعنى العام

1. تقديم

في وسط هذا العالم الذي يموج بالبعد عن الله سبحانه وتعالى وعن شرعه، العالم الذي يموج بالفتن والظلم وقتل الأبرياء أفرادا وجماعات، والإعراض عن الله سبحانه وتعالى، تعالى صيحات الإنقاذ ودعوات النهوض بهذه الأمة، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها كما قال إمام دار الهجرة، ولن يقوم بعملية الإصلاح هذه إلا من توفرت فيه صفات أخلاقية أساسية منها خلق الرحمة، الذي هو جوهر الرسالة المحمدية.

ولاشك أن منهج علماء أهل السنة والجماعة هو منهج خير القرون وهو أوسع دلالة وأعمق دائرة من أن يكون مجرد مقررات وحمولات معرفية دون أن يكون لها رصيد من العمل والسلوك، إنه منهج أشمل من ذلك بكثير، فهو ليس المنهج الذي لايعرف إلا جانبا واحدا من جوانب التوحيد لله سبحانه وتعالى، أولا يتحدث إلا في إطار المعرفة والجدل النظري والإثبات النظري والنفي وحده فقط، أو يطيل الحديث والجدال في كيفية اللباس... وغير ذلك مما اتسعت دائرة النقاش حوله، خصوصا من طرف طائفة من أشباه العلماء، بل هو أشمل من ذلك كله.

ومن الجوانب المهمة عند أهل السنة الجانب الخلقي والسلوكي ومافتئ العلماء رحمة الله عليهم قديما وحديثا يؤلفون في هذا المضمار التاليف والتصانيف، في حسن الخلف، والزهد، والبر والإحسان، والوقف والصدقة الجارية، والتخلق الحسن مع الناس أجمعين... وهذا ليس غريبا عنهم، فهم ورثة الأنبياء، والأنبياء بعثوا رحمة لأقوامهم، وهذا ما يؤكده الحديث الشريف الذي بين أيدينا، فالدين دين الرحمة والنبي نبي الرحمة.

2. نبي الرحمة.

إن العلم الأول والقائد الأوحد لعلماء هذه الأمة وعوامها، هو سيدنا وحبيبنا محمد عليه صلوات الله وسلامه، ومن ثم فإن أولئك الذين يرغبون سلوك هذا المنهج، منهج الدعوة إلى الله وهداية الناس إلى صراط العزيز الحميد، ويدعون إليه لابد أن يكون لهم نسب وثيق بالنبي صلى الله عليه وسلم من المحبة والتوقير له وإنزاله المنزلة التي أنزله الله إياها.

ومن الأتباع له البحث عن هديه وعن سنته وسلوكه لتقتفى آثارها.

وجدير بنا في كل الأحوال، وليس فقط في مناسبة غالية كمناسبة مولده الشريف، أن نعود إلى هديه وسنته بقراءة دقيقة متأنية فاحصة، لنلتمس من هديه ونستشف من سنته معالم طريق النجاة الذي أخبر أنه لن ينجو إلا من كان على ما كان عليه وأ- صحابه.

3. وصف الله لنبيه بالرحمة:

من الصفات التي اتصف بها نبينا محمد هذه الصفة وهي صفة (الرحمة)وهو بها أهل، فلقد وصفه الله سبحانه وتعالى بذلك، فوصفه بالرحمة على الخلق والعطف عليهم (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) ويمتن الله سبحانه على المسلمين أن بعث لهم هذا الرسول صاحب القلب الكبير الرحيم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) وأخبر سبحانه وتعالى أن رسالته "رحمة للعالمين أجمع (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

5. رحمة بأمته:

وتلمس رحمته "بالخلق في كل أحواله وأموره، فهو كثيرا مايترك بعض الأعمال شفقة على أمته حتى لاتفرض هذه الأعمال عليهم فيعجزوا عن القيام بها وعن الوفاء بها، ألم تقرأوا كثيرا في سنته قوله صلى الله عليه وسلم: "لولا أن أشق على أمتي"؟إن هذا مصداق هذا الوصف الذي وصفه به ربه سبحانه وتعالى، وهو عز وجل أعلم به، فهو يقول: "لولا أن زشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة" و "لولا أن أشق على أمتي ماقعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله عز وجل" ويصلي فيصلي الناس بصلاة ثم يعتذر لهم" ولايخرج لهم خشية أن تفرض هذه الصلاة على أمته فلا يطيقوها، ويفرض الله عليه خمسين صلاة فما يزال حتى تخفف هذه الصلاة إلى خمس رحمة بأمته، ويأمره جبريل أن يقرئ أمته على حرف فيقول: إن أمتي لاتطيق ذلك، فيقول: أقرئهم على حرفين حتى أوصله على سبعة أحرف.

ومايزال في تلقيه للوحي وفي كلامه وفي أفعاله وعبادته يخشى أن يشق على أمته، ويخشى أن تكلف ما لا طاقة لها به، وأن تؤمر بما لا تطيق، ولهذا كان كما وصفه سبحانه وتعالى : (ونيسرك لليسرى)لقد يسر لليسر في كل أموره وحياته.

والشواهد على رحمته "لاتقف عند هذا الحد، فنعيش مع جانب آخر من سيرته، سيرته مع أزواجه: ففي حجة الوداع أصاب عائشة رضي الله عنها الحيض مما منعها أن تعتمر كما اعتمر الناس، فتقول للنبي صلى الله عليه وسلم: "يذهب الناس بحج وعمرة وأذهب بعمرة؟فيقول الراوي: وكان هينا لينا إذا هوت تابعها عليه. ومن تأمل سيرته وهديه في تعامله مع زوجاته يلمس ذلك واضحا من رحمته وشفقته بهن.

6. رحمته بالأطفال:

جاء أعرابي . كما تروي عائشة رضي الله عنها . إلى النبي "فرأى أمرا لم يعهده، رآه يقبل الصبيان فقال: تقبلون الصبيان؟قال: نعم، قال الأعرابي: إنا لانقبلهم فقال: "أوأملك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟"، إذا فهذا الأعرابي الذي ما اعتاد أن يقبل الصبيان وأن يداعبهم، جاء إلى النبي ذاك الرجل الذي يهابه الناس ويتحدثون عنه، ويغذ الناس سيرهم إليه لتكتحل أعينهم برؤيته، وحق لهم ذلك فمن رآه وآمن به فقد ثبت له فضل لايثبت لأحد من البشر، ثبت له فضل الصحبة، فيستغرب هذا الأعرابي أن يرى مثل هذا الرجل العظيم في مكانته ومنزلته يتعامل مع الصبيان هذه المعاملة.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه قبل الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس رضي الله عنه فاستنكر هذا السلوك ولم يألفه، قال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحدا منهم، فنظر إليه النبي وقال: "من لايرحم لايرحم".

ويصلي بأصحابه كما روى ذلك عبد الله بن شداد رضي الله عنه . وهو عند الإمام النسائي . فيسجد فيأتي الحسن أو الحسين فيرقى على ظهره، فيطيل السجود حتى ظنوا أنه نسي، فلما فرغ من صلاته قال: "إن ابني هذا ارتحلني فكرهت أن أقوم قبل أن يقضي حاجته".

إن هذا القلب الرحيم العظيم ليأبى أن يزعج هذا الطفل الصغير ويقلقه، فيطيل سجوده والناس وراءه ينتظرن أن يقضي هذا الصبي حاجته فيقوم من نفسه.

ويسمع بكاء الصبي وهو يصلي وقد نوى أن يطيل الصلاة فيوجز فيها حتى لاتفتن أمه.

هذا غيض من فيض، ومهما ذكرنا فلن نوفي الحبيب حقه، وعلى أمل اللقاء في الحلقة المقبلة، نرفع أكفنا إلى العلي القدير، أن يحسن أخلاقنا، ويخلقنا بأخلاق المصطفى عليه صلوات ربي وسلامه...

حديث المنابر

حفظ الدين والمسلمين من هجمة حملات التنصير

■ إعداد الاستاذ: رضوان ابن شقرون

الحمد لله الهادي إلى الصراط المستقيم، الحمد لله مانح الرحمة والنجاة للمؤمنين الصالحين، الحمد لله واهب الفوز والنعيم للمسلمين الصادقين، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره، وأستعينه وأستهديه وأستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، أكمل الدين لعباده بمنه، وأتم عليهم النعمة بفضله، وارتضى لهم الإسلام دينا بحكمته. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده الصادق الأمين، وخاتم الرسل والأنبياء أجمعين، أرسله الله بين يدي الساعة بالحق بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، ختم به رسالته، وأكمل به شريعته، وارتضى للعالمين دينه ومنهجه، صلى الله عليه وعلى آل بيته الأكرمين الطيبين، وعلى زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين، ورضي الله تعالى عن الصحابة المهديين، أجمعين،وعن التابعين وتابعيهم، وعمن اقتفى أثرهم وسبيلهم واهتدى بهديهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله عز وجل والتزود بها، فقد قال تعالى في محكم التنزيل: "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقون ياأولي الألباب" سورة البقرة :196/2، وقال جل شأنه: "واتقوا الله، ويعلمكم الله، والله بكل شيء عليم" سورة البقرة281/2، وقال عز من قائل: "واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون" سورة المائدة90/5.

التدرج منهج رباني

أما بعد، فلقد اقتضت الحكمة الربانية اتخاذ مبدأ التدرج منهجا في الأمر كله: في الخلق والتقدير، وفي التشريع والتوجيه، مع أنه تبارك وتعالى قادر القدرة المطلقة على أن يفعل مايريد في أقل من لمح البصر: "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن، فيكون، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون" سورة يس 8281/36 وإنما كان التدرج في صنعه سبحانه تربية للعباد وتوجيها لهم إلى المنهج الصحيح والعمل الرشيد والنتائج السليمة، لذا نلمس التدرج في تعاقب الرسالات، وفي تتابع التشريع:

فقد أوحى الله سبحانه وتعالى بدينه إلى الأنبياء والرسل تدريجيا في تعاقب وتتابع، يمهد السابق من الرسل الكرام عليهم السلام للاحق، ويضيف اللاحق منهم للسابق ماترى الحكمة الربانية ضرورته وحاجة الناس إليه، حتى أكمل دينه برسالة خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (ﷺ).

وأوحى الحق سبحانه لنبيه محمد (ﷺ) بالأحكام والتكاليف الشرعية تدريجيا: فركز على العقيدة فترة طويلة قبل أن يوحي بتفصيل العبادات، وركز على العبادات مدة قبل أن يوحي بتشريع الحلال والحرام، وعلم الناس مايحل لهم ومايحرم عليهم قبل أن يعين الحدود والعقوبات، اتبع الشارع الحكيم سبحانه في ذلك كله منهج التدرج: يتجلى لنا ذلك، مثلا، في فرض الصلاة، وفي طريقة تحريم الربا، وفي طريقة تحريم الخمر، وفي غير ذلك من التشريعات والأحكام.

إن الدين عند الله الإسلام

ولما أتم الله عز وجل على الناس نعمته، وأكمل لهم دينه كما أوحى بتفاصيله وتعاليمه وتشريعاته إلى خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (ﷺ)، صار هذا الدين بهذه الصورة النهائية ويفضل الله تعالى وتقريره الدين الصالح لكل الأزمان والعصور، ولكل الأماكن في المعمور، ولكل الأجناس من البشر عبر الدهور، يؤكد ذلك قوله تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"سورة المائدة4/5. حينئذ، لم يعد صالحا للبشر ولا مقبولا منهم عنده سبحانه أي شرع آخر حتى ولو كان من الشرائع التي أوحى بها الله نفسه إلى العباد في أي مرحلة من المراحل السابقة.

ذلك بأن الرسالات والشرائع اللاحقة كانت على الدوام تنسخ الرسالات والشرائع السابقة، حتى نسخ الله تعالى برسالة محمد (ﷺ) جميع الشرائع المتقدمة، فشرع الإيمان بها جملة، وأبطل العمل بتشريعاتها تفصيلا، إلا ماأقره الله منها، وعلى الكيفية التي بينها، وأوجب العمل بخاتمة الشرائع وأكملها.

لذلك أقر سبحانه وتعالى في جميع الخلائق "إن الدين عند الله الإسلام" سورة ال عمران19/3 وأقر جل شأنه أن "من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين"سورة ال عمران84/3، وأمر العباد أن يحرصوا على أن لايعيشوا في هذه الحياة الدنيا إلا على الإسلام وعلى الإسلام وحده، فلا تدركهم الموت إلا وهم على الإسلام الحق الذي جاء به محمد (ﷺ) وإلا خابوا وخسروا: "ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته، ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون"سورة ال عمران102/3. ثم بين أن المتدينين بدين آخر، المتبعين لنبي غير محمد (ﷺ) من أنبياء الله أو رسول آخر غيره من رسل الله، أو الكافرين بالله أو العابدين لغير الله أو المؤلهين لغير الله أو المشركين شيئا بالله أو الملحدين المنكرين للتدين لله، كل هؤلاء لا محل لهم في أرض الله في الدنيا، ولا استحقاق لرحمة الله في الآخرة، ومن ثم لايجوز في شرع الله أن يتدين الإنسان بأي دين سوى الإسلام، ولا محل للدعوة إلى أي دين آخر سوى الدعوة إلى الإسلام، ولاعمل بأي كتاب إلا بالقرآن، ولا اتباع لأي نبي إلا لنبي الإسلام سيدنا محمد (ﷺ).

المسلم مؤمن مأمور بحفظ عقيدته ودينه

والمسلم كل مسلم مؤمن على جوارحه مأمور بتسخيرها في مرضاة الله تعالى مما فيه الطاعة والخير والمصلحة، وحفظها من أن تمتد إلى حرام أو تشتغل بالحرام، وإلا حوسب حسابا شديدا، وشهدت عليه جوارحه.

وهو مؤمن كذلك على أهله وولده، والمسؤولية في هؤلاء جسيمة خطيرة، تقوم على توجيههم إلى الخير وتعليمهم ماينفعهم في دينهم ودنياهم، ومايحصنهم من الغزو الفكري والتضليل في العقيدة والتزوير في الحقيقة والتمويه في المعرفة والتذويب في الشخصية والخسران في المصير والهلاك في الآخرة: "ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون"سورة التحريم66/6.

والمسلم مؤمن أيضا على عقيدته مأمور بحفظ دينه، لأن حفظ الدين من أهم المقاصد الشرعية وأولاها، وحفظه يعتبر ضرورة من الضرورات الشرعية الكلية، وأصلا من أصول التشريع الإسلامي الكبرى، ولأن التدين شأن رباني مطرد، وحاجة بشرية مركوزة في الغريزة الإنسانية، وليس شأنا تحسينيا ولاتكميليا، ولأن اختلال هذا الأصل. الذي هو التدين. يلزم منه اختلال باقي الضرورات، فيحدث خلل في السير العام لحياة البشر، وذلك قد يؤدي إلى التعرض لغضب الخالق سبحانه، وقد يبلغ الأمر حد عموم العقاب الرباني إذا فشا الضلال وعم الفساد وعودي الشرع ونسي المخلوق خالقه، أو عبد غيره، أو فرط في الدين الحق الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده. لكن حفظ الدين يضمن استمرار العبادة قائمة، وبقاء العقيدة نقية، وحماية الدين من الانحراف والضلال، وحفظ الأشخاص والمجتمعات والأمم من غضب الخالق القدير، وتحقيق الاطمئنان والهناء للبشر أفرادا وجماعات ودولا. ويتم حفظ الدين بأمور أربعة:

أولها: مايقيم أركان الدين وترسيخها، ويثبت قواعد الشرع وتطبيقها، ويوفر عبادة الله في أرضه واستمرارها، وذلك بالاجتهاد في إقامة الدين بالعبادة والطاعة لله ولرسوله، وبالتطبيق العملي للأوامر الشرعية، وبتثبيت العقيدة الصحيحة السليمة صافية كما أوحى الله بها إلى رسوله محمد (ﷺ)، وكما بلغها عليه الصلاة والسلام.

والثاني: ما يدرأ عنه الخلل الواقع أو المتوقع من الداخل، وذلك بالتصدي لمظاهر الفساد والضلال في الناس، ودعوات هدم القيم ومحاولات صد الناس عن العقيدة أو زعزعتهم عن الدين، مما يمكن أن يصدر عن المسلمين أنفسهم من المبتدعين والمتهاونين في الدين والمستهترين بالشرع من أبنائه.

والثالث: مايدفع عنه دعوات التخريب الوافدة من الخارج، وذلك بالتصدي للحملات الفكرية والتربوية والإعلامية والتنصيرية التي يقودها أعداء الإسلام لغزو أفكار الناس أو تشكيكهم في عقيدتهم أو تكفيرهم بربهم، ولهجمات الطغاة العتاة من الكافرين والمشركين والملحدين واللادينيين الذين يناصبون الإسلام والمسلمين العداء، ويواجهونهم بالحرب معلنة أو متخفية، فيهجمون على دياره، أو يناوئون أبناءه، أو يحتلون أرضه، أو يترصدون الإسلام والمسلمين بالشر والمكر.

والرابع: تبليغ الدين الصحيح والتعريف به لمن لم تبلغهم الدعوة، أو الجاهلين بحقيقته من أبنائه أنفسهم، وذلك بالمنهج الرباني الحكيم، والنموذج النبوي الرشيد، والحوار الهادئ المنصف، المتجلي بإيجاز بليغ في قوله تعالى : "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين"سورة النحل125/16، واتباع مبادئ التخلية قبل التحلية، والتبشير قبل التنذير، والتيسير بلا تعسير، والرحمة واللين دون القسوة والغلظة: "فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين"سورة ال عمران159/3.

حرية التدين أهي مصلحة؟

فهل الحرية بالمفهوم الرائج وبالتطبيقات الجارية في الظاهر تعتبر مصلحة حقيقية للإنسان؟ وأين تكمن هذه المصلحة؟ وما هي المصلحة المعتبرة في الشرع؟ وهل من المصلحة أن يترك للأطفال حرية التصرف والتفكير والتدين قبل تزويدهم بالمعارف الضرورية الجالبة للخير والصفاء، المحصنة من الشر والشقاء؟ أم هل من الحرية والمصلحة أن يترك للأشخاص مايدعى (حرية التدين) ولو كان لهذه الحرية في نهاية الأمر بؤس وتعاسة في الدنيا، وتهلكة وشقاء في الآخرة، وللمجتمع فيه مفاسد ضارة وعواقب وخيمة؟

المصلحة أنواع

والمصلحة في عرف العقل والمنطق والشرع أنواع:

مصلحة معتبرة في الشرع، ومن هذا النوع مايتعلق بالإنسان كإقرار الحق وإزهاق الباطل ورفع الظلم وإصلاح ذات البين ودرء المفاسد، ومنه مايتعلق بالبيئة والكائنات، كتعمير الأرض وإصلاحها وغرسها وصيانة تربتها ونباتاتها وخيراتها من الإتلاف والضياع وحفظ أجوائها من التلوث، وكتربية الحيوان وتطوير نوعه وحفظه من الانقراض.

ومصلحة ملغاة غير معتبرة، ومنها المنافع التي قد يحققها الفرد على حساب أخيه أو جماعته أو بيئته، فعابد الحجر وشارب الخمر ومدخن السجائر والزاني... وكذلك أصحاب البدع والمنكرات التي يحدثونها في المجتمعات، كالأعراف الدنيئة والعادات السيئة والسلوكات المناقضة لفطرة الإنسان وطبيعة البيئة والمجتمع ومبادئ الناس وقواعدهم الشرعية.. كل أولئك قد يشعرون لحظة الزنى أو التدخين أو احتساء الخمرة أو عبادة الحجر بنوع من المتعة ولكن آثارها الضارة لاحقا على الشخص نفسه، وعلى أخيه الإنسان، وعلى محيطه وبيئته ومجتمعه سلبية وخيمة، لابد من التنبيه إليها ولو أدى الأمر إلى الضرب على يد مرتكبيها ترشيدا للفرد وحماية للجماعة ورفعا للضرر. وفي الأثر الموجه ماينبهنا إلى ذلك بالأسلوب التربوي الرشيد: ذلك الشاب الذي أتى النبي (ﷺ) وقال له يارسول الله أذن لي في الزنى ! فأجلسه الرسول المربي الأكرم (ﷺ) وسأله: أتحبه لأختك؟..لأمك؟..لزوجتك؟..لابنتك؟... والشاب يجيب عن كل ذلك، في غضب، بأن لا! والرسول (ﷺ) يقول له عن كل جواب: ومَن من الناس يرضاه لأخته؟أو لأمه؟أو لزوجته؟ أو لابنته!! في إشارة نبوية ذكية حكيمة إلى أن الأمر وإن كان يحقق متعة للفرد لكنه يضر بالأنفس والأفراد والمجتمعات، وأن واجب الإنسان أن يصرف نفسه عن مثل هذه المصلحة الزائفة حفظا لصحة الشخص المعني نفسه، للمجتمع من التظالم والتباغض والتصدع والانحلال.

ومصلحة مسكوت عنها، وهي التي أسماها طائفة من العلماء بالمصالح المرسلة، ويعرفها الأصوليون بأنها المعاني التي يحصل من ربط الحكم بها وبنائه عليها جلب مصلحة أو دفع مفسدة، ولم يقم دليل على اعتبارها أو إلغائها، كأن يصدر ظهير أو مرسوم أو قانون ليس للشارع في موضوعه حكم وارد، لكنه مناسب للشريعة غير مناقض لمقتضياتها، هادف إلى تحقيق مصلحة للبلاد أو للمواطنين، فالمصلحة اقتضت مثلا أن يوثق الزواج بعقد يحرره العدول، والزواج الذي لايثبت بوثيقة رسمية لاتسمع الدعوى به عند الإنكار، وأن يسجل عقد البيع لدى الإدارة، وعقد البيع الذي لايسجل لايحتج به.

فاللهم قو إيماننا واحفظنا في ديننا، وإلى سواء السبيل فاهدنا، والحكمة في القول والعمل فارزقنا، وأصلح اللهم حالنا واغفر ذنبنا إنك غفور رحيم، ويرحم الله عبدا قال آمين.

علم التوقيت : وآلة بيت الإبرة ونصب المحراب

- الحلقة الثانية-

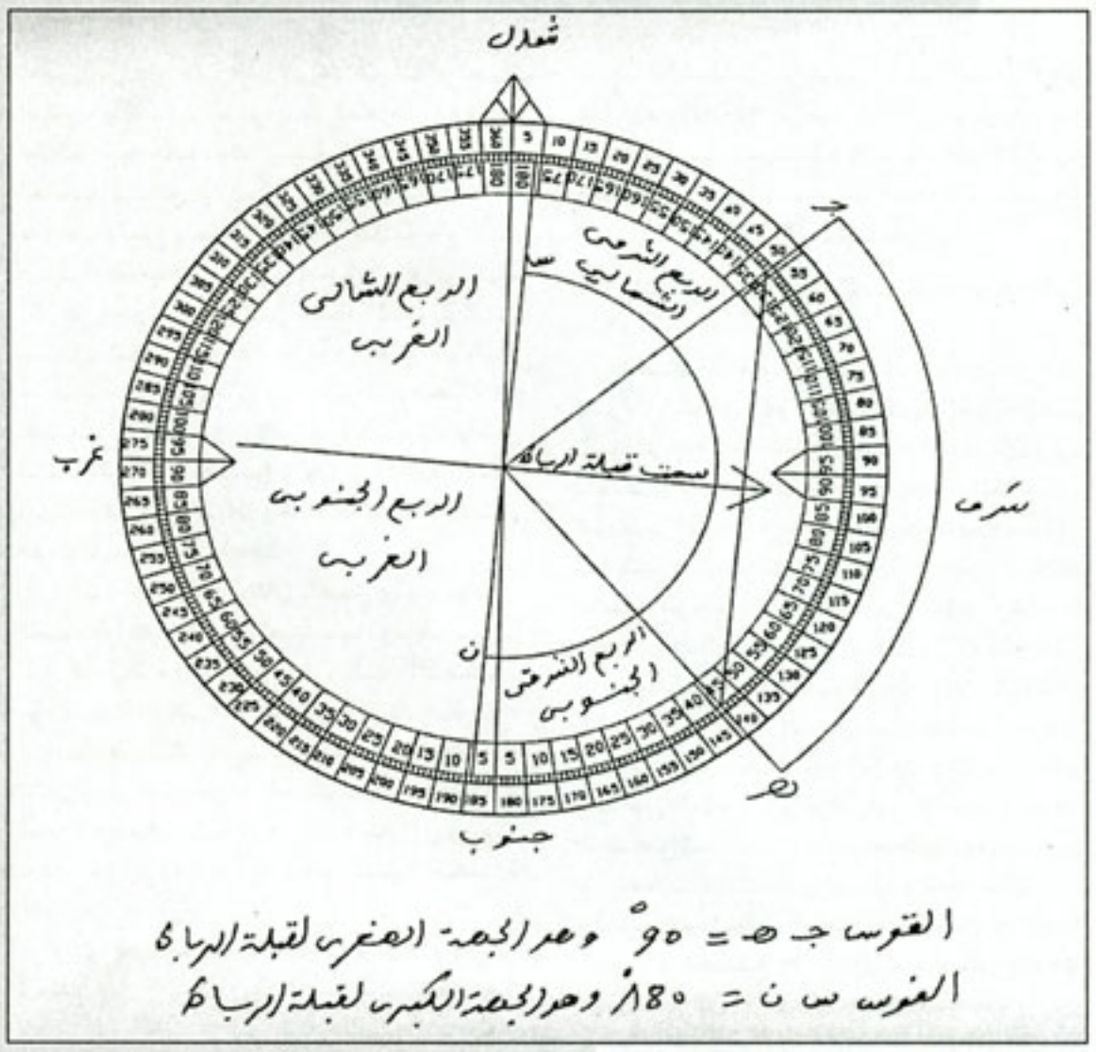

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

■فإذا عرفت الجهات الأربع في مكان معين فضع البرجل أو البيكار في نقطة التقاء خط المشرق والمغرب مع خط الشمال والجنوب، وأدر دائرة فتجدها قد انقسمت الى أربعة أرباع الشرقي الجنوبي، والربع الغربي الجنوبي، والربع الشرقي الشمالي، والربع الغربي الشمالي، وفي كل ربع 90 درجة، أما في مدن المغرب فأكثرها يكون في الربع الشرقي الجنوبي بدأ من عين المشرق نحو الجنوب، فمدينة الرباط سمت قبلتها 94 درجة و34 دقيقة بدءا من نقطة الشمال نحو المشرق، وإن بدأت من عين المشرق نحو الجنوب يكون سمت القبلة أربعة درجات و34 دقيقة وهي الزائدة على التسعين من عين الشمال، وهناك مدن أخرى بالمغرب يوجد سمتها في الربع الشرقي الشمالي، وذلك مثل أكادير وتزنيت وكلميم وسيدي إفني وطنطان والسمارة وطرفاية والعيون وبوجدور والداخلة والكويرة وآقا، فمثلا مدينة طنطان سمت قبلتها 86 درجة 38 دقيقة من عين الشمال، وسمت قبلتها يساوي 3 درجات و22 دقيقة من عين المشرق نحو الشمال، وما نقله أبو عبد الله محمد بن قاسم السجلماسي الرباطي في شرحه على نظم العمل الفاسي لسيدي عبد الرحمان الفاسي عند قوله :

وجهة القبلة في شرق الجنوب
واتسعت بين الشروق والغروب

نقلا عن سيدي عبد الوهاب الزقاق : قال الفقيه عبد المجيد المالقي في كتاب أدلة القبلة، قد وقع في ذلك اختلاف كثير لاعتبارات فقهية وفلكية في هذه الجهة، فمن قائل أنها أحد أقطار العالم وتسمى الجهة الكبرى، ومن قائل هي ما ذكره الشيخ أبو حامد وتسمى الجهة الصغرى، فعلى القول الأول، لنا أن ننحرف على السمت الحقيقي بـ 90 درجة يمينا وشمالا، ويكون جميع ما بين النهايتين قبلة، وهذه غاية التوسعة، وعلى الثاني ننحرف عن السمت الحقيقي 45 درجة يمينا وشمالا وما بينها قبلة. انتهى. إذاً جميع مدن المغرب وقراه داخلة في الجهة الكبرى وهي ما بين عين الجنوب وعين الشمال، وهذه الجهة تحوي الربع الشرقي الجنوبي والربع الشرقي الشمالي، ومجموع الربعين يساوي 180 درجة، وقد نقل هذا المواسي في شرحه على روضة الأزهار.

ولكن ما حرره علماء هذا الفن وما استقرت عليه الفتوى هو ما حرره سيدي عبد السلام العلمي المتوفى عام 1905م. حيث قال :

لما كانت القبلة ستة أقسام : 1) قبلة اجتهاد، 2) قبلة تقليد، 3) قبلة عيان لمن مكة، 4) قبلة تحقيق وهي قبلة الوحي وهي قبلة مسجده عليه السلام،5) قبلة جامع عمرو بالفسفاط لإجماع الصحابة عليها،6) قبلة استتار وهي قبلة من غاب على البيت من أهل مكة، أو عن مسجده صلى الله عليه وسلم من أهل المدينة وكان المضطر فيه إلى العلم من هذه الأقسام :

. القسم الأول : الذي هو قبلة اجتهاد وهو سمت مكة، وهو عبارة عن قوس من دائرة أفق البلد ما بين دائرة أم السموت والدائرة المارة بسمت رؤوس أهله وسمت رؤوس أهل مكة، فإذا استقبلت منتهى هذه القوس في الربع الذي فيه السمت كنت مستقبلا لعين مكة على مقتضى العمل.

واعلم أن الأصل في الاستقبال الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب : فقوله عز وجل : "فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره" فسر المفسرون، بتلقائه، وقبله، ونحوه، وقصده، ووسطه، ومواجهته، وكلها ألفاظ متقاربة المعنى.

وأما السنة : فما روي عن ابن عباس أنه قال : «لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه، فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه القبلة".

وأما الإجماع: فقد حكى أبو عمر بن عبد البر أن العلماء أجمعوا على أن القبلة التي أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام وعباده بالتوجه نحوها في صلاتهم هي الكعبة البيت الحرام بمكة.

وقال الشيخ عبد الباقي الزرقاني رحمه الله : " الاستقبال واجب يرتد جاحده، وإذا وجب فيجب تعلم أدلته لمن يتأت منه ذلك" هـ.

وهنا مباحث فقهية في أحكام استقبال القبلة، نعرض لها في فصول :

. الفصل الأول : " في ما قاله أهل العلم في حديث قوله (ﷺ) :"ما بين المشرق والمغرب قبلة وفي قوله " في آداب قضاء الحاجة : "لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا ".

قال الفقيه المحقق أحمد بن عبد العزيز في مقالته التي وضعها في معرفة سمت القبلة :

فإن كان ما بين البلدين 180 درجة وفي العرض كذلك، فإن سمت الكعبة يكون نحو مركز الأرض فلا سمت لهذا الموضع، فلأي جهة صلى أجزاه.

فإن كان الطول ينقص عن 180 درجة صلى لجهة السمت، فإن زاد عن 180 درجة صلى للجهة المعاكسة التي كان يصلي إليها، أي أن السمت ينقلب إلى الجهة الأخرى.

اعلم أن الشيخ الإمام العالم العلامة حجة الإسلام زين الملة والدين سيدي عبد الرحمان بن محمد بن احمد التاجوري المصري المتوفى رحمه الله تعالى ورضي عنه عام 999هـ/1599م. قد وضع في هذين الحديثين تأليفا سماه : «تنبيه الغافلين عن قبلة الصحابة والتابعين" نقل فيه أقوال العلماء بعضها من شرح الموطأ، وبعضها من الذخيرة لشهاب الدين القرافي، وبعضها من دلائل القبلة لابن البناء، وبعضها من المدونة للإمام سحنون، وبعضها من شرح الرسالة لسيدي يوسف بن عمر إلى غير ذلك من أئمة المذهب.

وحاصل ما فيه، أن الحديث خاص بأهل المدينة ومن كان مثلهم ممن قبلتهم بين المشرق أو المغرب فإن قبلتهما بين الجنوب والشمال، وأن الحديث إن لم يحمل على هذا، وإن قيل بعمومه لزم مناقضة قوله تعالى " وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره".

. الفصل الثاني : في جهة محاريب الصحابة والتابعين، قال سيدي عبد الرحمان التاجوري في : "تنبيه الغافلين" أيضا ناقلا من دلائل القبلة لابن البناء ما نصه : وقد ثبت أن مكة ليست لأهل المغرب في ناحية الجنوب، وإنما هي في ناحية المشرق بإجماع من الصحابة والتابعين الذين نصبوا مسجد الفسفاط إلى قلب العقرب عند طلوع الشولة وهي خارجة عن حقيقة الجنوب إلى ناحية المشرق، قلت ومسجد الفسفاط هو جامع عمرو بن العاص بمصر، وبدليل أيضا إجماع الصحابة الذين نصبوا قبلة القيروان إلى مرجع الشمس في الشتاء، وهو دليل قاطع وبرهان ساطع على أن مكة ليست في ناحية الجنوب لأهل المغرب وأن المساجد المنصوبة إلى ذلك خارجة عن القبلة، وذكر بعد ذلك أن جامع عمرو بن العاص منحرف عن خط الزوال إلى جهة المشرق بنحو خمسين درجة، فكان بذلك الانحراف خارجا عن جهة الجنوب داخلا في جهة المشرق، وكذلك جامع القيروان بإفريقية منحرف عن خط الزوال إلى جهة المشرق بأكثر من جامع عمرو، وكذلك كلما بعد المكان عن مكة في جهة المغرب مالت قبلته إلى جهة المشرق أكثر، فإذا كان المكان بأقصى بلد المغرب كفاس ومراكش كانت قبلته في وسط المشرق، ولذلك جمع علي بن يوسف بمراكش أربعين فقيها منهم : أبو الوليد بن رشد، وملك بن رسيم الأندلسي على تصوير قبلة مسجد السقاية، فصوبوها ونصبوها إلى مشارق الاعتدال هـ. ثم قال أيضا : بعد كلام طويل : " فتبين من هذه الدلائل القطعية أن مكة من أهل المغرب إنما هي في المشرق لا محالة مع ما يؤيد ذلك من كلام أئمة المذهب وغيرهم " هـ.

ثم نقل عن الإمام سحنون وعن أبي عبد الله محمد الرجراجي ومن دلائل ابن البناء وغيرهم، أن من كان مسكنه من مكة المشرفة في جهة المغرب كأهل طرابلس وأعمالها، والقيروان وأعمالها،وتلمسان وأعمالها، وفاس وأعمالها، ومراكش وأعمالها، وسوس الأقصى وأعمالها، ودرعة وأعمالها، وسجلماسة واتوات وأعمالها، وفوزار، وبلاد الجريد، وغريس، وفزان، فإن قبلتهم الشرعية وهي الكعبة البيت الحرام كائنة بين الشمال والجنوب إلى المشرق، ولهم من السعة في جهة المشرق فيصلون إلى مطلع الشمس خريفا وشتاء وربيعا وصيفا لا جناح عليهم في ذلك، لكن الأولى في حق أهل المغرب الداخل استقبال مشارق الاعتدال، والأولى في حق أهل إفريقية وطرابلس الغرب استقبال مطالع الخريف والشتاء، وقال في محل آخر في شأن المساجد المنحرفة عن جهة القبلة " قد قال علماء المذهب أن الحاكم ينقض حكمه إذا خالع قطعيا وقد تقدم ذكر الأدلة القطعية وإجماع الصحابة رضي الله عنهم، فيجب نقض المحاريب الجنوبية التي في أرض المغرب، وفتح محاريب أخرى إلى جهة قبلة الصحابة رضي الله عنهم، وإنما الذي لا ينقض من المحاريب بعد بنائها وصار كحكم الحاكم المحاريب التي وافقت جهة القبلة واختلفت سموتها.

وأما التي اختلفت جهاتها فينقض الفاسد منها وليس بناؤه كحكم الحاكم، وعلى من يعتقد من أهل المغرب أن القبلة منهم في جهة الجنوب درك عظيم لأن القبلة هي الكعبة، والكعبة في مكة، ومكة في جزيرة العرب، وجزيرة العرب ليست من أهل المغرب في جهة الجنوب، وإنما هي في جهة المشرق "، ثم قال الإمام الشهاب القرافي في " الذخيرة" :

وحيث قلنا بتقليد المحاريب فشرطها ألا تكون مختلفة ولا مطعونا عليها من أهل العلم، فمهما فقد أحد الشرطين لم يجز تقليدها إجماعا هـ.

وقال أبو زيد : "فكل من لا يعرف مطالع الشمس ومغاربها ومطالع النجوم ومساقطها فلا يجوز له بنيان المساجد لأن معرفة القبلة فريضة عليه هـ.

. الفصل الثالث : في ذكر ما يستدل به على أن المراد بالجهة هي الجهة الصغرى، اعلم أنه لا خلاف بين جميع الأئمة من أن الجهات أربع وعلى تقسيم دائرة الأفق بثلاثمائة وستين جزاء يكون في الربع الواحد تسعون درجة، فإذا علمت هذا فقد قال : الفقيه العلامة "أبو زيد سيدي عبد الرحمان الباعقيلي في شرحه لروضة الأزهار. جهة الجنوب تسعون درجة، وكذلك سائر الجهات، فوسط جهة الجنوب خط الزوال كما قال ابن البناء رحمه الله تعالى فيقسم التسعين نصفين، نصف إلى جهة المشرق وذلك خمس وأربعون درجة، ونصف إلى جهة المغرب، وإذا تقرر هذا فالبلد الذي يكون سمت قبلته على خط الزوال يكون جهة الجنوب كلها جهة قبلة لأهلها كأهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن اجتهد وصلى بأرض المدينة ثم تبين له أنه انحرف عن خط الزوال الذي هو وسط الجنوب بأقل من نصف الجهة إلى جهة المغرب أو إلى جهة المشرق لم يقطع لأنه لم يخرج بذلك الانحراف عن الجهة، لكنه يؤمر باستقبال وسط الجنوب ويبقى على صلاته حسبما ذكر الإمام سحنون رضي الله عنه في كتاب "الصلاة" الأول من المدونة فقال : "ومن علم في الصلاة أنه استدبر القبلة أو شرق أو غرب قطع وابتدأ الصلاة إقامة" ثم قال : "وإن علم أنه انحرف يسيرا فلينحرف إلى القبلة ويبني " فقوله أولا : استدبر أو شرق أو غرب شامل لثلاث جهات، من أربع كل جهة تسعون درجة، فليس لأهل المدينة فيها قبلة قطعا، لأن قبلة مسجده صلى الله عليه وسلم قطعية، وهي في جهة الجنوب قطعا ووسطها خط الزوال وهو موضع سمت الكعبة قطعا بالمدينة المشرفة، فعلم من هذا أن من كان سمت قبلة بلده على خط الزوال إلى جهة الجنوب كانت جهة القبلة بذلك، بعضها من الربع الغربي الجنوبي وذلك خمس وأربعون درجة، وبعضها من الربع الشرقي وهو خمس وأربعون درجة، فمجموع ذلك تسعون درجة وهي مقدار جهة القبلة في كل بلد.

انتهى

شذرات من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

■ إعداد الاستاذ: الطاهر العروسي

■ تحل ذكرى المولد النبوي الشريف على الأمة الاسلامية في مغربها ومشرقها، وفي هذه المناسبة يجدر بنا استعراض سيرة رسول الله الحافلة لتكون لنا درسا وعبرة، ولنا في رسول الله أسوة حسنة فلنتعرف على سيرته الطاهرة، ولتكن لنا وقفات على أعماله وأفعاله وأخلاقه العظيمة.

وفي البداية نتبرك بمعرفة نسبه الأصيل: فهو سيدنا محمد بن عبد الله، ابن عبد المطلب بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، ابن حكيم، ابن مرة، ابن كعب، ابن لؤي بن غالب، بن فهد بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، ابن مدركة، بن الياس، بن مصر، بن نزار، بن معد ابن عدنان، ويتصل نسب عدنان هذا إلى سيدنا اسماعيل ابن سيدنا ابراهيم عليهما الصلاة والسلام.

وكيف خرج إلى الوجود رسول الله بل كيف حملت به أمه..

كان والده عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه إليه، فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف وهي يومئذ أفضل نساء قريش نسبا وموضعا، ولما دخل عليها حملت برسول الله، وبعد الحمل بشهرين توفي والده بالمدينة عند أخواله من بني النجار وعمره 18 سنة، تاركا له خمسا من الجمال، وبعض النعاج وبركة الحبشية المكناه بأم أيمن.

ولد (ﷺ) بمكة في فجر يوم الاثنين 12 ربيع الأول الموافق 20 من شهر أبريل سنة 571 ميلادية. كانت ولادته في دار أبي طالب بشعب ابن هاشم على يد قابلته أم عبد الرحمن بن عوف وسماه جده عبد المطلب حين بشر بولادته محمدا رجاء أن يحمد في السماء وفي الأرض، وقد حقق الله رجاءه، ارضعته أمه نحو ثلاثة أيام، ثم ثوَيبة مولاة عمة أبي لهب أياما، وتقول كتب السيرة بأن أبا لهب اعتق ثويبة حين بشر بولادة رسول الله، أما حليمة السعدية وقد اختارها جده عبد المطلب لتكون مرضعة له ، وهي من قبيلة هوازن المشهورة بالعرافة وكمال الشرف واسم زوجها أبو كبشة، فأخذته حليمة وزجعت به إلى قومها فرأوا منه (ﷺ) خيرات كثيرة حتى قال زوجها: ياحليمة، إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة، ولما انتهى فطامه بقي عندها سنتين، حتى إذا بلغ أربع سنين قامت والدته بحضانته ومعها أم أيمن ولما بلغ ست سنين ذهبت به أمه وأم أيمن إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه فمكثت عندهم نحو شهر، وبينما هي عائدة أدركتها المنية في الطريق فماتت في الأبواء والأبواء قرية قريبة من المدينة، فأوصلته أم أيمن إلى جده بمكة، وتولت وحدها حضانته، ولذا كان عليه الصلاة والسلام يقول لها: أنت أمي بعد أمي.

وقام جده بكفالته خير قيام، كان يحنو عليه أكثر من أولاده لما رأى عليه من علامات النجابة والخير وكان يقول ليكونن لابني هذا شأن.

وتوفي جده عبد المطلب وقد بلغت سنه ثماني سنوات فضمه عمه أبو طالب إليه، فأحسن كفالته، وأحبه حبا شديدا، ثم خرج به حين بلغ ثلاث عشرة سنة في خرجته متاجرا إلى الشام، فلقيه في طريقه عند بصرى بحيره الراهب وهو من الأحبار ، وبصرى هذه قرية على الحدود بين بلاد الشام فقال لأبي طالب: ارجع بابن أخيك فسيكون له شأن عظيم، واحذر عليه من اليهود فإن زمانه قد قرب كما أنبأنا عن ذلك دانيال في نبوته فرجع به إلى مكة حين فرغ من تجارته.

ولما بلغ خمسا وعشرين سنة سمعت خديجة بنت خويلد بأمانته النادرة وأخلاقه المرضية، فعرضت عليه خروجه إلى الشام في تجارة لها مع غلامها ميسرة فقبل وسافر وربح كثيرا، وعاد إلى مكة، فأخبرها ميسرة بأمانته وكرامته، وكانت من شريفات العرب موصوفة بالعقل والحزم والثروة فعرضت عليه أن يتزوجها وكان لها من العمر أربعون سنة، وكم عظيم خطبها وبذل لها الأموال الطائلة فأبت لكنها هي خطبت السيد الأمين لنفسها فأجابها (ﷺ) وتزوجها وكان له خمس وعشرون سنة فبقيت معه ورزقه الله كل أولاده منها، إلا ابراهيم فإنه من مارية القبطية التي أهداها إليه المقوقس عظيم القبط بمصر، ثم ماتت رحمها الله قبل الهجرة بثلاث سنين.

وقد نشأ عليه الصلاة والسلام متأدبا بأدب الله تعالى، مفطورا على محاسن الشيم ومكارم الأخلاق، كفله جده في حال صغره ثم عمه بعد موت جده، ولما شب عن الطوق، وقوي على العمل اشتغل بحرفة الأنبياء قبله، وهي رعي الغنم مع إخوته من الرضاع في البادية، ولما رجع إلى مكة كان يرعاها لأهلها بالأجر، ثم اشتغل بالتجارة فاشتهر عند العرب بصدق الحديث، وشرف الأمانة وحسن المعاملة، كانت معيشته كلها من كسب يده وقد عاش مع ذلك فقيرا، ولو أراد الثراء كان له منه نصيب كبير.

لقد نشأ مهذبا طاهر العقيدة، متبرأ من ضلالات الوثنية وأوهامها، نشأ على أكمل ماتتحلى به النفوس الطاهرة، نشأ كثير النظر طويل الصمت بين الجانب موفور الحلم، دائم البشر سديد الرأي، كان لاينتهي، ولايتشكي،ولايتشخط لايلتمس من أحد شيئا يجد في التماسه مهانة وذلا، يرحم الصغير، ويوفر الكبير، لايحقر فقيرا لفقره، ولايهاب عظيما لعظمته، كان يتفقد أصحابه إذا غابوا، ويلاطفهم إذا حضروا.

كان زاهدا متواضعا، يجلس على الأرض ويخصف النعل، ويرفع الثوب، يحسبه الرائي فقيرا وهو أغنى الناس، وصغيرا وهو أكبرهم.

ومما أعظمه في نفوس العرب من قريش وغيرهم أن حسم نزاعا كاد يؤدي إلى سل السيوف من أغمادها، وذلك أن قريشا كانت هدمت الكعبة لأصلاحها بعد تلف جدرانها فلما أتموا بناءها وأرادوا وضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يضعه، وتناقشوا فيما بينهم واختصموا محكموا أول داخل عليهم من باب الحرم فكان رسول الله (ﷺ) أول داخل فحكموه فبسط رداءه، وأمر بوضع الحجر عليه، وأن تمسك كل قبيلة بطرف منه، ثم يرفع ويوضع مكانه فرجعوه، فوضعه (ﷺ) وعمره آنذاك خمسة وثلاثون عاما.

ثم حببت إليه الخلوة، فكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد على دين ابراهيم عليه السلام، ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها، فلما بلغ أربعين سنة إلا شهرا قلائل بدأ بالرؤيا الصالحة فكان لايرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح.

وبينما هو معتكف في خلوته وافاه جبريل من لدن الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وكان ذلك يوم الاثنين السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده الموافق 6 غشت من سنة 610 ميلادية.

وحدث أن فتر الوحي عن رسول الله مدة، فشق ذلك عليه، واشتد الحال به عليه الصلاة والسلام حتى صار كلما أتى ذروة جبل بداله أن يرمي نفسه منها حذرا من قطيعة الله بعد أن أراه نعمته الكبرى، فيتبدى له الملك قائلا: أنت رسول الله حقا فيطمئن خاطره، ويرجع عما عزم عليه حتى عاوده الوحي، وأنزل الله تعالى عليه: "ياأيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولاتمنن تستكثر، ولربك فاصبر.

وهكذا قام رسول الله يدعو الناس إلى الايمان بالله تعالى سرا، فأجابه جمع قليل سماهم التاريخ الإسلامي بالسابقين الأولين وفي مقدمتهم زوجه خديجة فابن عمه علي، فزيد مولاه فأبو بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام، وطلحة بن عبد الرحمن، والباعث على كون الدعوة في بدء أمرها سرية، إن العرب في مكة كانوا من أشد الناس تمسكا بالقديم، وفي أثناء الدعوة إلى الاسلام سرا دخل الناس فيه أرسالا من الرجال والنساء، وفشا بمكة وتحدث به النساء فأمر الله رسوله بالجهر بالدعوة بقوله تعالى"فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين" ثم أنزل الله تعالى : "وانذر عشيرتك الأقربين" وهم بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، وبنو نوفل، وبنو عبد شمس، أولاد عبد مناف، فلما رأت قريش ذلك مشى رجال من أشرافهم إلى أبي طالب يقولون له: إن ابن أخيك عاب ديننا وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا فأنه عنا أو خل بيننا وبينه، فردهم أبو طالب ردا حسنا ووعدهم خيرا، ثم رأوه لايزال عاملا على سب آلهتهم فاشتد بهم الغيظ وعظم عليهم الأمر، فمشوا إلى أبي طالب ثانيا قائلين له: إن لم تنه ابن أخيك والا نازلناك واياه حتى يهلك أحد الفريقين، فأشار على ابن أخيه أن يبقى عليه وعلى نفسه، فظن أن عمه يخذله فشق عليه ذلك وقال:

ياعم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ماتركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه، ثم بكى وهم بالانصراف فناداه عمه وقال: يا إبن أخي فإن ما أحببت فوالله لا أسلمك إليهم أبدا.

ثم أخذت قريش تسخر منه، وتؤذيه وتضيق عليه، فكان (ﷺ) يطوف على الناس في منازلهم يقول: أيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئا، وأبو لهب وراءه يقول: أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم.

ولما رأى رسول الله (ﷺ) مايعانيه أصحابه من الاضطهاد والتعذيب قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم، فسألوه عن الوجهة، فأشار إلى الحبشة وكان ذلك في السنة الخامسة من النبوة وفي ذلك الوقت أسلم حمزة عم الرسول، وعمر بن الخطاب، وكان المسلمون إذ ذاك بضعة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة، وفي السنة السابعة أمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى الحبشة للمرة الثانية.

ولقد أكرم النجاشي مثواهم، وترك لهم الحرية التامة في القيام بعبادتهم، ولما رأت قريش ذلك أرسلت في إثرهم عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بالهدايا والتحف إلى النجاشي ليطلبا منه رد المهاجرين إلى بلادهم، ولكن النجاشي رفض تسليمهم حتى يسمع منهم مايقولون في دينهم، فشرح له جعفر بن أبي طالب نيابة عن إخوانه ما كان عليه حال العرب قبل الإسلام وما أمر به الرسول من ترك عبادة الأصنام فأوصاهم به من مكارم الأخلاق، ثم قال له: إنا قصدنا جوارك ورجوناك ألا نظلم عندك أيها الملك، فطلب منه النجاشي أن يسمعه شيئا من القرآن فقرأ له سورة مريم، فقال النجاشي: "هذا والذي جاء به المسيح ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لاأسلمهم إليكما أبدا.

ثم أسلم النجاشي لما دعاه النبي (ﷺ) إلى الإسلام وكذلك أسلم من رحل من الحبشة إلى المدينة من القسيسين والرهبان سنة سبع من الهجرة حين سمعوا من رسول الله سورة يس، ولقد بكوا حين سمعوا القرآن، وقالوا: ماأشبه هذا بما كان ينزل على عيسى، وفيهم نزل قوله تعالى:

وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع فما عرفوا من الحق، وقد مات النجاشي مسلما، وصلى عليه رسول الله (ﷺ) لما أعلمه جبريل بوفاته، وهذه هي أصل صلاة الجنائز على الغائب.

ولما بلغ عليه الصلاة والسلام خمسين سنة مات عمه أبو طالب وزوجه خديجة، وبموتهما قويت شوكة قريش واشتد العداء لرسول الله: حتى إذا لم يجد نصيرا بمكة ذهب إلى الطائف وبه قبائل ثقيف لعله يجد من ينصره ويساعده على تبليغ الرسالة فدعاهم إلى الاسلام فأبوا واغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه يصيحون به ويرمونه بالحجارة، وهنا جهر رسول الله بدعائه:

"اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني، ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي وتقدم إليه غلام نصراني وبيده عنقود عنب فناوله اياه، فلما ابتدأ رسول الله ياكل قال: بسم الله الرحمن، فقال الغلام: هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلاد فقال له عليه الصلاة والسلام ، ومن أي البلاد أنت؟ومادينك؟ فقال: نصراني من نينوى "ونينوى بلد بالعراق على شاطئ دجلة" فقال له عليه الصلاة والسلام: من قرية الرجل الصالح يونس، قال وماعلمك بيونس؟ فقرأ له من القرآن مافيه قصته، فلما سمع الغلام ذلك أسلم، ثم نزل جبريل وقال: يامحمد إن الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه معك، فقال عليه الصلاة والسلام: "اللهم اهد قومي فإنهم لايعلمون فقال جبريل صدق من سماك الرؤوف الرحيم.

(يتبع ص11)

أمير المؤمنين محمد السادس حفظه الله واحتفاؤه بعيد مولد جده المصطفى (ﷺ)

■ بقلم : مصطفى أصبان الحسني
عضو الرابطة / فرع شفشاون

جاء في السيرةالحلبية ، عن الزهري رحمه الله قال قالت آمنة لقد علقت به (ﷺ) فما وجدت له مشقة حتى وضعته . وأتاني آت من الملائكة وأنا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بأنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها وأمهلني حتى دنت ولادتي وأتاني فقال قولي إذا ولدتيه أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمداً فإن اسمه في التوراة والإنجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض إلا في القرآن وقد جاء اسمه محمداً. وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : ولد رسول الله (ﷺ) مسرورا أي مقطوع السرة، مختوناً ومكحولا ونظيفاً ما به قذر. وعن أنس بن مالك (ض) قال قال رسول الله (ﷺ) من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً ولم ير أحد سوأتي أي عند الختان. وقد جاء أن هناك من الأنبياء من ولد على صورة المختون غير نبينا (ﷺ) وحُصر عددهم في ستة عشر نبياً وقال بعضهم في نظم جميل :

وفي الرسل مختون لعمرك خلقة
ثمان وتسع طيبون أكارم
وهم زكريا شيت ادريس يوسف
وحنطلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح
سليمان يحيى هوديس خاتم

وليس من خصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل غيرهم من الناس يولد كذلك ويرد على هذا غيرهم، ومنهم الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى، يقول : إن من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولادته مختونا قيل ختنه الملك الذي هو جبريل كما صرح به بعضهم يوم شق قلبه (ﷺ) عند ظئره أي مرضعته حليمة السعدية ومن إرهاصات هذا النبي الكريم أن مهده(ﷺ) كان يتحرك بتحريك الملائكة. وأول من أرضعه أمه آمنة ثم ثويبة الأسلمية مولاة أبي لهب التي أعتقها حين بشرته بولادته (ﷺ) ثم حليمة السعدية التي قال فيها عبد المطلب بخ بخ سعد وحليمٌ خصلتان فيهما خير الدهو وعزّ الأبد.

فالنبي المصطفى (ﷺ) شرفه الله وكرمه ونوّه به على لسان الأنبياء، إن جبريل عليه السلام أعلم ابراهيم عليه السلام بأنه يوجد نبي من العرب من ذرية ولده اسماعيل وذكر أن إبراهيم لما أمر بإخراج هاجر أم ولده اسماعيل عليه السلام حمل هو وهي وولدها على البراق فلما وصل مكة قال له جبريل إنزل فقال حيث لا زرع ولا ضرع قال نعم، هاهنا يخرج النبي الأمي من ذرية ولدك ويعني اسماعيل عليه السلام، الذي تتم به الكلمة العليا وآخر من بشر بنبينا محمد (ﷺ) هو عيسى عليه السلام وإلى هذا أشار صاحب الهمزية لقوله :

ما مضت فترة من الرسل إلا // بشرت قومها بك الأنبياءُ

وإننا إذ نحمد الله تعالى حمداً كثيراً، أن هيأ الله لبلدنا المسلم خلاصة آل البيت النبوي الشريف أمير المؤمنين سادس المحمدين وسبط النبي الكريم، الذي يسهر بنفسه وبحضوره الفعلي في هذه الليلة المباركة في جمع غفير من المؤمنين علماء وصوفية ينشدون ويقرأون بعضاً من سيرة النبي(ﷺ) وكل هذا عمل مبارك محمود يدخل ضمن قوله (ﷺ) " من فرح بنا فرحنا به ".

وبأمره المطاع تقام حفلات ليالي المولد النبوي في كل مساجد المملكة الشريفة إظهارا لنعمة الله تعالى على هذه الأمة واصطفاء لخير البشرية وأفضل الأنام الذي أنقذها من الضلالة والجهالة وإحياء أمير المؤمنين لهذه الليلة المباركة تزيد المؤمنين محبة وقربا للمصطفى جده (ﷺ) ويعطي . أعزه الله . لأمته المغربية النموذج الذي يجب أن يحتذى في هذا الاحتفاء فملوك العلويين الأشراف حرصوا كل الحرص منذ أزمان على تعظيم لحظة ميلاد المصطفى (ﷺ).

وأي فرحة أعظم وأكبر ؟ ! مما يصنعه المغاربة اليوم في شهر ربيع الأول.

إن أمير المؤمنين يحتفل بمولد جده المصطفى (ﷺ) احتفالاً هائلاً، وهو أمر يستحق التنويه بشأنه قال الإمام أبو شامة ومن أحسن ما صنع اليوم في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده (ﷺ) من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور، كل هذا مشعر بمحبة المصطفى (ﷺ) وتعظيمه في قلب فاعل ذلك، نعم، جرت عادة الناس اليوم إذا سمعوا ذكر وضعه (ﷺ) قاموا إجلالاً وتعظيما له (ﷺ) وهذا القيام مستحسن لا شيء فيه وقد فعل ذلك كثير من علماء الأمة الذين يقتدى بهم فبارك الله عمل أمير المؤمنين في هذا الصنيع الجميل المحمود وضاعف فضله لغيره لما يخص به أمته من زيادة فضل وبيان لشرف وإجلال جده المصطفى (ﷺ) وذلك بقراءة كتاب الشفا في المساجد وإلقاء دروس في السيرة العطرة في هذا الشهر ربيع الأنوار كل ذلك تنويرا للمؤمنين التواقين إلى سماع مثل عليا وأخلاق عالية فاضلة لهذا النبي المفضال.

وقد صدق الشاعر في قوله حين أبدع :

يقول لنا لسان الحال منه × وقولُ الحق يعذبُ للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي × ربيع في ربيع في ربيع

وها هو أمير المؤمنين يبذل قصارى جهده وبإخلاص دؤوب في استقصاء أنوار الشريعة والحقيقة حيث يشجع . نصره الله وأيده . دائما المفكرين والعلماء على أبحاثهم العلمية والمتميزة التي تخدم الدعوة الاسلامية بالعلم والفكر والثقافة والحضارة والحوار والتسامح وبالحكمة والموعظة الحسنة وعلى أية حال فلنفخر نحن المغاربة وبما أنعم الله علينا من بركة آل البيت النبوي الشريف سليل الدوحة النبوية مولانا أمير المؤمنين محمد السادس. حفظه الله ونصره. بارك الله في أعماله الجلى وخطواته السديدة الكبرى وقوّى به سند هذا الدين وقوامه اللهم احرسه بعينك التي لا تنام واحفظه بألطافك الخفية وبارك اللهم في ولي عهده المحبوب مولاي الحسن، وسائر أفراد الأسرة الملكية الشريفة الكريمة إنه سميع مجيب .

تابع (ص:7)

ولما بلغ الرسول اثنتين وخمسين سنة أسري به ليلة السابع والعشرين من رجب من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وصلى فيه وعرج به إلى السموات العلى فرأى ما رأى من آيات ربه الكبرى، وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات في اليوم والليلة.

ولما رأت قريش انتشار دعوة رسول الله ونجاحها اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيما يفعلون به فمن قائل: نحبسه مكبلا بالحديد حتى يموت، وقائل: ننفيه من بلادنا، فقال أبو جهل: ان لي رأيا فيه ماأراكم وقعتم عليه هوان نختار من كل قبيلة شابا جلدا متينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما فيعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه، فإذا فعلوا ذلك تفرق دمه في قبائل قريش فأخبره الله تعالى بما اجتمعوا عليه وأمره بالهجرة إلى المدينة، فأعلم أبا بكر بذلك فأعد راحلتين سفر في الليلة التي تواعد المشركون فيها على قتله، وأمر رسول الله (ﷺ) عليا أن يبيت موضعة متسجي بردته ثم خرج ليلا والقوم يرصدونه بالباب جعل يتلو يس إلى أن وصل إلى قوله تعالى :"فأغشيناهم فهم لايبصرون" فجعل يكررها ووضع على رؤوسهم التراب فلم يشعروا به.

هكذا تمت هجرة رسول الله إلى المدينة والأنصار محتاطون إحاطة الهالة بالقمر وخرج النساء والصبيان والأولاد ينشدون:

طلع البدر علينا من تنيات الوداع
وجب الشكر علينا مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

ودخل رسول الله المدينة وهو في هذا الموكب العظيم ما مر على دار أحد من الأنصار إلا قال:هلم يارسول الله عرض ناقته فقال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة تركوها سائرة حتى أتت بفناء عدي بن النجار هم أخواله الذين تزوج منهم هاشم جده تركت بمحلة من محلاتهم أمام دار أبي أيوب الأنصاري، فقال عليه الصلاة والسلام: هنا المنزل إن شاء الله، فاحتمل أبو أيوب رحله ووضعه منزله، وخرجت وصبايا بني النجار يقلن

نحن جوار من بني النجار
ياحبذا محمد من جار

قال عليه الصلاة والسلام: اتحبيني؟ فقل نعم قال: الله يعلم أن قلبي يحبكن

وفي المدينة آخى (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار واتخذ عليا أخا، فبلغ من آخى بينهم خمسة عشر من المهاجرين ومثلهم من الأنصار، فكان كل أنصاري ونزيله أخوين في الأنصار، وكان الأنصار يؤثرون اخوانهم المهاجرين على أنفسهم.

قال تعالى:

والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وبهذه الهجرة كثر سواد المسلمين وقويت شوكتهم وتأيد الدين بأمر الله تأييدا عظيما.

خواطر وملاحظ

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

كيف نهلت حضارة الغرب من علوم المسلمين؟

■ يشهد التاريخ بأن علماء المسلمين في عصورهم الزاهية لم يخصوا بالعلم أنفسهم من دون الناس فهم نشروه وبثوا المعرفة في كل مكان طرقوه دون تمييز عنصري أو عقائدي بين البشر يقول البرفسور "داربير" المدرس في جامعة هارفاد بأمريكا في كتابه "بين العلم والدين": إننا لندهش حين نرى في مؤلفات المسلمين من الأراء العلمية ماكنا نظنه من نتائج العلم، في هذا العصر، وإن جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوروبيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم، وكان ملوك أوروبا وامراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها.

وقال العلامة "بريفولت": ان الأوروبيين درسوا عن العرب طريق البحث العلمي التجريبي، وأنه لم يسبقهم إليها باحث أو مفكر.

أما العالم الفرنسي "جوستاف لوبون" فيقول: لايمكن ادراك أهمية شأن العرب في الغرب إلا بتصور حال أوروبا حين ادخل العرب الحضارة إليها، إذا رجعنا إلى القرن التاسع والقرن العاشر من الميلاد، حين كانت الحضارة الإسلامية ساطعة، رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجا يسكنها "سنيورات" متوحشون يفخرون بأنهم لايقرأون، وإن أكثر رجال النصرانية، معرفة كانوا من الرهبان المساكين الجاهلين.

ودامت همجية أوروبا زمنا طويلا من غير أن تشوبها ولم يبد في أوروبا بعض الميل إلى العلم إلا في القرن الحادي عشر وفي القرن الثاني عشر من الميلاد، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم فولوا وجوههم شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم.

هذه الشهادات من علماء الغرب تزيدنا قناعة بأن الأعلام رسالة فريدة في رحابتها العلمية والثقافية لاتشبهها رسالة أخرى من رسالات السماء أو الأرض، ذلك أن نصوص القرآن الكريم والسنن المأثورة عن نبي الاسلام (ﷺ) تشكل مادة علمية تتصل بفروع الثقافة الانسانية كلها من أخلاق ومعاملات ونظام الأسرة والمجتمع وسياسة الدولة المالية والقانونية والسياسية وعلاقاتها الخارجية، عدى ماتميزت به علوم العقائد والعبادات التي ليس لها مصدر يوثق به غير الوحي، وهذه المادة العلمية الاسلامية لايزيدها مر الزمان إلا نباتا وتألقا، وفي دلالة الاستهلال الذي بدأ به وحي الله إلا على رسالة الإسلام إلى رسوله الأمين (ﷺ) بكلمة "إقرأ" بصيغة الأمر والوجوب مايعبر عن آلاء الله سبحانه وتعالى إلى البشر بنعمة العلم والتعليم.

وإذا كانت حضارات أخرى غير الحضارة الإسلامية وشرائع أخرى غير شريعة الاسلام قد نظرت إلى العلم بريبة وحذر، ورأت فيه سبيلا إلى الألحاد والكفر، فإن حضارة الإسلام وشريعته قد أبصرت في العلم منذ أربعة عشر قرنا السبيل إلى صحيح الايمان، الايمان المؤسس على الدليل دون حاجة إلى إعلان أو وثيقة.

ولضرورة العلم للأفراد والأمم تجاوز الاسلام بالعلم نطاق الحق إلى حيث جعله فريضة الهية لحاجة الانسانية الماسة إليه، فهو ضرورة وفرض عين على كل مسلم وليس مجرد حق من الحقوق يباح لصاحبه التنازل عنه بالاختيار دون اثم أو حرج أو تثريب. وحتى على من يريد تولي السلطة على الناس واجب التفقة قبل ولايته لها، وبذلك نصح الفاروق عمر بن الخطاب عندما قال في حكمته المأثورة:

تفقهوا قبل أن تسودوا، أنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بامارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سوده قومه على الفقه والعلم كان حياة له ولهم ومن سوده قومه على غير فقه وعلم كان هلاكا له ولهم.

نص العرض الذي قدمته الأستاذة ربيعة بنويس لنيل دكتوراه الدولة في الآداب بتاريخ 2004/01/23

الشعر الصوفي بتازة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين من خلال شعر إبراهيم التازي، وابن يجبش التازي وأحمد زروق

الحلقة الأولى

■ الأستاذة ربيعة بنويس كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن طفيل / القنيطرة

■ يجسد هذا العمل نوعا من الأدب المغربي الروحي في حقبة زمنية غنية بالأحداث التاريخية والسياسية والفكرية، سواء في أوربا الغربية أو في المغرب، ذلك أن القرنين التاسع والعاشر الهجريين عرفا ترديا حضاريا داخل المغرب كان سببه شيوع الفتن واحتدام الصراع بين القوى السياسية والقبلية، الشيء الذي أدى إلى انقسام السلطة السياسية في المغرب، بين الشمال الذي كان تحت الحكم المريني والوطاسي بعده، والجنوب حيث ظهور الأشراف السعديون.

أثناء ذلك كانت أوربا الغربية تعمل على تطوير نفسها في جميع المستويات، خصوصا الإسبان والبرتغال الذين عملوا على شتاتهم، ونشطوا لاحتلال الثغور المغربية بعد طردهم العرب من الأندلس، وذلك الطرد والاحتلال الذي صادف تقاعس المغاربة المسلمين عن مهمة الجهاد

هذا الوضع المزري، جعل الشاعر المغربي «يتلقى صدمات وتقلبات حملته على الانتماء أو النزوح، وتحمله الضوائق على الانتجاع أو الإبداع أو تصرفه إلى الهروب من واقعه لتعويض هذا العالم المنهار بعالم الثبات والشموخ، عالم المثل العليا، في ظل هذا الجو المثقل بالإحباط، يعرف التصوف في المغرب ظاهرة الانتشار والامتداد، وتعرف رموز الثقافة الروحية كالصلحاء والعلماء والأولياء والأشراف تأطيرا قياديا للجماعات في الحواضر والبوادي» (1).

في إطار هذا التصوف، اختلفت الاتجاهات والطبقات، طائفة يمثلها بعض المتفقرة الذين اتخذوا من الزهد والتصوف طريقا يبتعدون من خلاله عن الناس والدنيا بشهواتها المختلفة، فاجتمعوا في الزوايا والمساجد، يرددون الأذكار والأوراد، في حين وجدت طائفة أخرى اتخذت من التصوف ومبادئه وموضوعاته سبيلا للإصلاح والتقويم، تجلى ذلك من خلال مؤلفات وأشعار بعض شيوخها، وخاصة منه الشعر النبوي، وشعر الحض على الجهاد، منطلقين في كل ذلك من الكتاب والسنة، كمؤلفات الشيخ أحمد زروق وأشعاره، وقصائد الشيخ إبراهيم التازي والشيخ محمد بن يجبش التازي وغيرهم.

ولم تكن مدينة تازة بمنأى عن التحولات السياسية والفكرية الكبرى التي عرفتها الفترة، فهي من المدن العتيقة التي ساهمت بدور كبير في بناء صرح الثقافة المغربية، خاصة في عهد المرينيين والوطاسيين، وذلك لفضل الموقع الاستراتيجي الهام الذي تشغله، والذي جعل منها نقطة مرور أساسية إلى الديار المشرقية، أو العودة منها في اتجاه الشمال أو الجنوب أو الأندلس، مما ساعد على تبادل أنواع الثقافات، وخاصة منها الدينية التي كانت سائدة بالمغرب منذ العهد المريني، ولعل الثقافة الروحية، والمتمثلة في التصوف، كانت من بين المواد المسيطرة آنذاك، ويكفي دليلا على تطور العلوم وازدهارها بهذه المدينة، المدرسة التي أنشأها أبو الحسن المريني (2)، والمسجد الأعظم الذي كان يضم مدرسة وخزانة توفرت على نفائس الكتب وأغناها قيمة، كما ازدهرت بها علوم اللسان والبلاغة(3)، وعن هذه القيمة العلمية تحدث المرحوم عبد الله كنون قائلا : "وكان الوسط العلمي في تازة إبان ذلك مزدهرا بسبب عناية الدولة الجديدة. وهي دولة المرينيين. بهذه المدينة ... وقد جددوا معالمها، وأنشأوا فيها مساجد ومدارس لطلبة العلم، ورتبوا بها المدرسين حتى أصبحت ثالثة مدن المغرب الكبرى ... وهي من قبل كانت دار علم ظهر منها العلماء والأدباء والمتصوفة الكبار" (4). بل اعتبرت هذه المدينة من أهم المراكز الثقافية بالمغرب بعد فاس وسبتة ومراكش، حيث قال المرحوم المنوني :

" وتأتي . بعد هذه القواعد . مدينة تازة، حيث المواد العربية ناهضة، والمعارف الأخرى متدارسة " (5).

ومع ذلك بقيت هذه المدينة وأهلُها من المناطق التي أغفلها الزمن، عكس العواصم العلمية كفاس وسبتة ومراكش، فلم تنل من العناية ما تستحقه، لذلك كان لزاما على أبنائها أن ينهضوا بهذا الحمل ويساعدوا في بلورة وإخراج ما تزخر به مدينتهم من معالم وأعلام ومؤسسات دينية وتعليمية إلى النور.

ومن هذا جاء اهتمامي بالموضوع، وخاصة ببعض متصوفة المدينة، وبإنتاجهم المتميز، لعلي أساهم ولو بقسط ضئيل في إزاحة الغموض عن تاريخ مدينة كان لها تاريخ سياسي وفكري حافل، هذه المساهمة التي تحاول أن تجعل هذه المدينة مسايرة للركب الثقافي المغربي، خصوصا وأن جذورها ضاربة في القدم، ومقاومَتها لازالت صارخة إلى اليوم، من خلال قصيدة الشيخ محمد بن يجبش في الجهاد، والتي كانت تنشد في البوادي والمدن ومختلف البقاع المغربية بهدف تحريك الضمير المغربي المسلم للنهوض ضد المستعمر البرتغالي، والتي يقول في مطلعها : (الطويل)

أبا القلب سلوانا ومن لي بسلوة × وقلبي جفا من أجل ما بي مقلتي

فهذا الشاعر، وابنا بلديه الشيخ إبراهيم التازي والشيخ أحمد زروق، كانوا ينطلقون في كل ما يصدر عنهم من نثر أو شعر من هموم المجتمع ومن تطلعاته، هذا المجتمع الذي عاش عدة فتن وحروب وشدائد على المستوى الداخلي، من خلال الصراع حول الحكم الذي أسفر عن تعاقب ثلاث دول في فترة وجيزة، وعلى المستوى الخارجي المتمثل في التدخل الأجنبي في الثغور والبلاد المغربية بسبب التقاعس والابتعاد عن المبادئ والأخلاق الإسلامية، لذلك جاءت أشعارهم مثقلة بهموم عصرهم، محاولة ولو بشكل ضمني العودة بالمجتمع إلى منابع الدين الصحيح، انطلاقا من المواضيع المتناولة عندهم، من مديح نبوي، أو شعر في الزهد أو في الحب الإلهي أو أخلاق المتصوفة أو غيرها، نتوسلين في كل ذلك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد كان هدف متصوفتنا من خلال كتاباتهم وأشعارهم هو النهوض بالمجتمع ومحاولة إصلاحه وتقويم اعوجاجه، وقد أهلهم لهذه المهمة التصحيحية الصعبة تكوينهم الفكري المتنوع، وتمرسهم بالحياة وتجاربها، ورحلاتهم العلمية المختلفة، تلك الرحلات التي كانت عبر أقطار العالم العربي عامة والمغرب العربي على الخصوص، والتي كان التصوف أهم المواد الفكرية المسيطرة حينها، وهو تصوف، كما سبق الذكر، بعيد عن الإغراق في العقلانية المتأثرة بالفلسفة، مستندا على مصنفات الإمام الغزالي ومؤلفات الحارث المحاسبي وابن عطاء الله السكندري والقشيري، ومعتمدا في بعض مبادئه على الطريقة القادرية المنتسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، وإن كانت الطريقة الشاذلية المعتدلة المبنية على الجمع بين علمي الظاهر والباطن، وبين الشريعة والحقيقة وبين الدين والدنيا، هي التي استطاعت أن تعرف انتشارا واسعا بين الغرب والشرق، وأن تؤثر بشكل كبير في متصوفة القرن التاسع والعاشر عموما ومتصوفتنا الثلاثة المدروسين بوجه خاص.

وعموما، لقد كان شعرهم شعرا ملتزما بالكتاب والسنة أولا، وبواقع المجتمع المنهار ثانيا، ومتأثرا بأهم ما ورد عن كبار المتصوفة ثالثا، لذلك عمدت، أثناء تحليل شعر هؤلاء الشعراء، إلى تأكيد هذه النقطة عن طريق الاستشهاد بآي الذكر الحكيم والأحاديث النبوية، وبأقوال المتصوفة وآرائهم، وذلك لإظهار العلاقة الحميمة بين تصوف هؤلاء الشعراء وبين نصوص الكتاب والسنة وبين أقطاب التصوف الإسلامي، وهذه العملية أدت إلى تكرار مجموعة من الأفكار بين العناصر والموضوعات المتناولة، لعل مرد ذلك أساسا أن المجاهدات الصوفية كلها تقوم على أساس واحد هو نبذ الدنيا وترك الشهوات والتوجه إلى الله وحده، ثم إنه لا يمكن الفصل بين تلك المجاهدات، لأن إحداها تؤدي إلى الأخرى.

ورغم كون الشعراء الثلاثة من المتصوفة الفقهاء، فإن ذلك لم يمنعهم من نظم قصائد جيدة تنسجم مع المبادئ العامة لعلم صناعة الشعر، وإن كان حظهم من علم البديع ضئيلا، بسبب اهتمامهم بالموضوع على حساب الجانب الشكلي والموسيقى للقصيدة، فابتعدوا عن الصنعة والتكلف إلا الشيخ إبراهيم التازي في بعض قصائده النبوية. ومع ذلك فإنهم استطاعوا أن ينوعوا في بعض أساليبهم الفنية. كاهتمامهم بتصريع مطالع قصائدهم، واحتفالهم بأساليب الصنعة اللفظية التي عرفت ذيوعا وانتشارا خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر الهجري، كالتطريز والجناس والتكرار ...، وذلك بهدف تقوية الجانب النغمي للقصيدة، هذا الجانب الذي له علاقة قوية بالدلالات الكبرى في النص الصوفي، فهؤلاء الشعراء لم يكن هدفهم الأول الجانب الجمالي للنص الشعري بقدر الاهتمام بإظهار الجانب الفكري الذي كانوا يؤمنون به ويحاولون نشره بين مريديهم ومحبيهم، وخاصة منهم الشيخ محمد بن يجبش التازي الذي كانت الكثير من قصائده تعبر عن العمق الصوفي الذي كان يتميز به.

أما المعجم الذي استعمله شعراء تازة المدروسين، فتميز بتقاطع المعجم الديني مع المعجم الصوفي، وهذا أمر طبيعي، لأنهم من الفقهاء المتصوفة الملتزمين بالكتاب والسنة، ومع ذلك يبقى المعجم الصوفي عندهم، والخاص بالطريقة وأقطابها، ضئيلا، والألفاظ التي تدل عليه متناثرة في ثنايا القصائد المدروسة، في حين يسيطر المعجم التوسلي على شعرهم، هذا المعجم الذي يرتكز على محورين أساسيين :

أولهما : محور الذنب / الشفاعة، الذنب يخص العبد، أما الشفاعة فتخص الرسول عليه السلام، لذلك غالبا ما يتقاطع معجم المديح النبوي في هذا الجانب بمعجم التوسل، ولا يأتي الشاعر بالمعجم الأول إلا لتبرير استجارته بالرسول عليه السلام وطلب شفاعته.

وثانيهما : محور الذنب والندم/ التوبة، والذنب والندم يصدران دائما عن العبد، والتوبة تنتظر من الله سبحانه وتعالى، وفي هذا المحور نلمس ثنائية أساسية تتمثل في ثنائية القوة والضعف، الضعف الذي نلمسه من جانب الشاعر الباكي الشاكي المتضرع، والقدرة التي يمثلها جانب الله عز وجل، ذي الفضل والجود.

وقد تميز شعر التوسل عند هؤلاء الشعراء المدروسين بالبساطة والوضوح والمباشرة وعدم التحليق في عالم الخيال، وإن اعتمدوا فيه بعض الأساليب البديعة والبيانية البسيطة، كما تميز بالتكثيف من الوسائل التي تقرب وتدني المسافة بين المتوسل والمتوسَّل به، ومن هذه الوسائل نجد أسلوب النداء وصيغة الأمر التي تعني الالتماس والاستعطاف.

أما بساطة هذا الشعر فترجع إلى الموضوع نفسه، حيث لا يستدعي الإيحاء والرمز بقدر ما يستدعي الوضوح والصدق، خصوصا وأنه يعبر عن تجربة ذاتية أول ما تتطلبه أساليب التذلل والخضوع والاستغاثة المباشرة، دون أن ننسى أن الشعراء الثلاثة كانوا فقهاء قبل أن يكونوا متصوفة، هذا الاتجاه الذي طبع إنتاجهم بصفة عامة، الشيء الذي يفسر تلك الرتابة التي ميزت قصائدهم، فالموضوع لا يتغير، فالإقرار بالذنب يرافقه طلب المغفرة والرجاء في الرقي وتحقيق السعادة الأبدية، لذلك لا يتغير المعجم المستعمل في هذا التوسل، بل وحتى البناء الأساسي للقصيدة التوسلية الذي لم يخرج عن الآتي :

. المتوسل (صاحب الرسالة).
. المتوسَّل به أو إليه (المرسَل إليه)
. الموضوع (الرسالة)
. ثم النهاية والتي تمثلت في الصلاة على الرسول عليه السلام.

التضامن في الإسلام : أسسه وأشكاله وبعض مظاهره في تاريخ المغرب

■ محمدكنون الحسني / عضو المجلس العلمي بطنجة

■ التضامن مبدأ فطري بين الكائنات البشرية والحيوانية ، تقتضيه طبيعة الحياة وصعوبة المحافظة عليها، فلتحقيق الغايات وإنجاز الأعمال وتحقيق الأمن والاطمئنان لابد من التضامن بين الأفراد والجماعات والتكاتف والتعاون الصادق، تلك سنة الله في خلقه تشمل الإنسان والكثير من أنواع الحيوان، ففي المراحل الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ نجد الإنسان قد عاش على شكل جماعات يدافع الأفراد فيها عن بعضهم البعض ويبدون نوعا من التآزر والتعاون من أجل التغلب على مقاسي الطبيعة وعوادي الزمن، كما عاشت الكثير من أصناف الحيوانات على شكل جماعات ووفق تنظيم يمكنها العيش والدفاع عن صغارها وضعافها.

وفي التاريخ الإنساني مظاهر كثيرة توحي بهذا التضامن فبالإضافة إلى الحياة على شكل جماعات ، بنى الانسان الحصون والأبراج ودافع الرجال عن النساء والشباب عن الشيوخ، وأطعم المكتفي الجائع ، وأمن المطمئن الخائف، وآوى المستقر التائه.

وفي التاريخ العربي حضور لأشكال كثيرة من صور التضامن في بلادهم الشحيحة بخيراتها وفي مواسم الجفاف والقحط التي كانت تحل بأرضهم بين الحين والآخر ، كثيرا ما كان ينبري محسن كريم يطعم القوم ويغيث المحتاجين منهم ، وتحت ظلام الليل ووسط رمال الصحراء يجد العربي التائه من يؤويه ويؤمن من روعه، وفي شدة البرد وكلب الزمن يجلس أهل الثروة والأجواد من العرب للمقامرة بالقداح، فإذا كسب أحدهم جعل نصيبه لذوي الحاجة وأهل المسكنة.

إلا أن هذه المظاهر والصور من التضامن وإن حضرت في هذه المجتمعات فما هي إلا فلتات وغمزات اقتضتها ضرورة الحياة وفرضتها قساوة الطبيعة وشغف الإنسان ، وإلا فكيف يمكننا أن نتحدث عن تضامن وتآزر شامل في مجتمع يتسم بالتفاضل والتراتب يحكمه القوي ويسود فيه الغني ويستبعد فيه الضعفاء وذوو الحاجة.

إن جل الصور المتحدث عنها، وأغلب أشكال التضامن والتآزر المشار إليها كانت لغاية أو من أجل تحقيق هدف فالدفاع عن القوم حماية للنفس ، وإجارة الضعيف متبوعة بالمن مشروطة بشروط، وإطعام الجائع، وإغاثة المحتاج كانت للتباهي وطلبا للمدح والثناء أو خوفا من اللوم والهجاء.

أما التضامن في الاسلام فهو ركيزة أساسية لبناء مجتمع مثالي يسوده التناصر والتآزر والتواد والتآلف، وشرط ضروري من شروط كمال الإيمان يقول سبحانه :(إنما المؤمنون الذين إذاذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا) ويقول أيضا:(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض). ويقول أيضا« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فالتضامن في الإسلام لا يقوم إلا على إيمان راسخ وإقبال متزايد على الخير والطاعة، ولا يتمثل في صور محدودة ونماذج معروفة ، بل يتسع ويتشعب ليشمل أمورا كثيرة ومظاهر متعددة منها : إغاثة الملهوف ، وإعانة المحتاج، وتوجيه التائه، ونصيحة الجاهل ، وأداء الأمانة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني من مصادر التشريع ، نقف على أحاديث كثيرة تتناول هذا التضامن وتحدد أسسه وأشكاله، ومواقف وأفعال ووقائع توضح معالمه وصوره ، وأول ما يمكن أن نقف عليه من الأحاديث النبوية الواردة في هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم (إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا أحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى).

هذه صورة المجتمع الذي نتحدث عن التضامن فيه، وهذه أرضية ننطلق منها للحديث عن التآزر والتآخي ، فقد انتهت فترة التفاضل والتراتب وأصبح الناس جميعا أمام الله سواء بعد أن كانوا سادة وعبيدا، وسودا وبيضا، وشيعا وأحزابا، فالسعادة بالتقوى والعمل لا بالحسب والنسب، والشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية ، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب والكريم عند الله من يخافه ويتقيه، وقد كرس الإسلام هذا التساوي والأخوة والوحدة في العبادات والمعاملات، فالإله واحد، والرسول واحد ، والدين واحد، (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)، والكتاب واحد هو القرآن الكريم، والالتزام بالجماعة واجب في الصلاة على شكل صفوف متساوية يقف فيها الغني والفقير، والقوي والضعيف، ويوم الجمعة وفي كل عيد يدعو الإسلام إلى اجتماع يؤمه إمام واحد ويتجه فيه المسلمون إلى قبلة واحدة ويصلون ويشكرون ربا واحدا. والزكاة تؤخذ من الأغنياء وترد إلى الفقراء لكي يشعروا جميعا أنهم جسد واحد " إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى".

والصيام يوحد بين المسلمين في أوقات الفراغ والعمل ، وأوقات الطعام والشراب، ويفرغ عليهم جميعا صفة الإنابة والرجوع إلى الله والحج يضم أشتات المسلمين في المشرق والمغرب في مكان معلوم وزمان معلوم (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات)

ومن الأحاديث النبوية التي يمكن استحضارها في هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم :(لايومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). الركيزة الثانية التي ينبني عليها التضامن في الإسلام: التآخي وحب الخير، فمن مظاهره الإيمان الكامل وصوره الواضحة إحساس المؤمن بأخيه، وشعوره بما يشعر وتأله مما يتألم، فهو يحب له ما يحب ويكره له ما يكره، ويساعده إذا ضعف ، ويوجهه إذا ضل الطريق، ويطعمه إذا جاع ، ويجيبه إذا سأل، ويأويه إذا تاه، فالتضامن في الإسلام مبني على التآخي والحب والوئام لا على التظاهر بالخير والرياء من أجل جلب منفعة أو خوفا من لوم وعتاب كما كان عليه الحال عند الأمم السابقة، وقد قال صلى الله عليه وسلم :(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) فإذا كان حب المسلم لأخيه المسلم من شروط الإيمان الكامل فقد وجب عليه الابتعاد عن أذاه وعن كل ما يكره، وعدم الغدر به وحفظه في نفسه وماله وأهله في حضوره أثناء غياب. كل هذا يبين لنا أن تضامن المسلمين فيما بينهم ليس من باب التطوع أو النافلة بل فريضة من الله ليس لنا خيار أو نفعل أو لا نفعل، فبمقدارما يتضامن الأفراد والجماعات ويتحابون في الله بمقدار ما يقتربون من رحمة الله ويكتمل إيمانهم وإسلامهم.

وهكذا وفي رحاب السنة المطهرة نستقي أحاديث أخرى تبين أسس هذا التضامن وأشكاله ، فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البزار:(ثلاثة لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم، إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم) فمن مظاهر التضامن في الإسلام الإخلاص في العمل، فالمسلم لا يؤدي عمله إلا كاملا ولا ينجزه إلا تاما مبرأ من العيوب سالما من كل أنواع الغش، فهو لا يحب أن يسلم أخاه المسلم شيئا غير كامل ولا عملا مبنيا على الغش، ومن مظاهر التضامن أيضا لزوم الجماعة وطاعة الإمام ، والعمل وفق ما تقتضيه المصلحة العامة، ووفق ما يرضي الله والجماعة، كما يقوم بالنصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمسلم لا يرضى لأخيه الهوان ولا يترك المسلم يسير في طريق غير طريق الحق والنور، كما يقف المسلم بجانب أخيه في السراء والضراء، فيدفع عنه كل أذى ويكشف عنه كل ضرر مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم :(من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه) .ففي هذا الحديث نقف على ثلاث صور من صور التآزر والتراحم في الإسلام هي:

1 . كشف الهموم وتفريج الكرب وحل المشاكل التي تحل بالمسلمين سواء كانت مالية أو بدنية أو نفسية، فمن نفس أي أزال وكشف وفرج عن مؤمن كربة أو ضائقة وشدة بنفسه أو ماله أو جاهه أو دعائه له بظهر الغيب كان جزاؤه عند الله من جنس عمله فسيفرج عنه كربة من كرب يوم القيامة.

2 . مساعدة من عليه دين وتعسر عليه أداؤه وذلك بتأخير موعد الدفع ونظرة إلى ميسرة، أو إبراء منه أو هبة تساعد على دفعه أو صدقة أو التدخل كواسطة بين المعسر وصاحب الدين.

3 . ستر عورة المسلم باللباس أو بما يشترى به هذا اللباس ، أو بستر عيوبه والتغاضي عن نقائصه والذب عن كل ما يكره أن يعلمه الناس عنه.

ونختم هذه الأحاديث الدالة على معاني الإخاء والتراحم والتضامن، بحديث جامع لهذه الصور مختصر لهذه المعاني والدلالات هو قوله صلى الله عليه وسلم :(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) وفي هذا الحديث اختصار لصور التضامن في الإسلام وإجمال لأسسه ومعانيه إذ يغيب الفرد داخل الجماعة ويرتبط وجوده بوجود الآخرين وسعادته وشقاؤه بسعادة وشقاء المسلمين.

فمن خلال هذه النصوص وتلك الإشارات نستطيع أن نتبين أهم الأسس والقواعد التي انبنى عليها التضامن في الإسلام ونلخصها في :

1 . المساواة بين الغني والفقير، والقوي والضعيف، والأسود والأبيض، فلا فضل لعربي على عجمي ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى.

2 . توحيد الصفوف وتوحيد الغايات والمنطلقات في العبادات والمعاملات.

3. حب الخير والسلام والنجاح للجميع ، والسعي من أجله للنفس وللغير.

4. الابتعاد عن كل ما يلحق الأذى بالآخرين، بنفسهم أو مالهم أو أهلهم وذويهم .

5 . لزوم الجماعة.

6 . النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

7 . كشف الهموم وتفريج الكرب وحل المشاكل التي تحل بالمسلمين.

8 مساعدة من عليه دين وتعسر عليه أداؤه.

9. ستر عورة المسلم وستر عيوبه .

10. إطعام الجائع ومساعدة المحتاج، وإجابة السائل ومساعدة الضعيف ومد ذوي الحاجة بالمال.

ولا يتسع المجال لتتبع كل الأشكال التضامنية والممارسات الإحسانية النابعة من المصدر الثاني من مصادر التشريع، ولا لعرض النماذج والأمثلة من حياة الصحابة والتابعين، لهذا سنكتفي بعرض بعض صور التضامن والتآخي ، والتآزر في تاريخ المغرب، فقد مارس المغاربة الإحسان والتضامن بوسائل مختلفة وبصورمتعددة إذ بنوا الملاجيء الخيرية وأقاموا دورا لإيواءالمحتاجين وإطعامهم وكسوتهم، واستقبال الضيوف والمسافرين الذين لا أهل لهم ولا مال، إذ تحدثنا كتب الأخبار والرحلات أنه في القرن التاسع للهجرة بنى سكان مدينة تدنست بإقليم حاحا ملجأ الفقراء والمحتاجين استضاف فيه الميسورون من أهل المدينة كل فقير محتاج وكل مسافر غريب، كما وجدت بمدينة توليت أربع ملاجيء للفقراء والمحتاجين. ومن عادات بعض المدن المغربية في هذا العهد وضع حراس على أبواب المدن يسألون كل داخل غريب هل له أهل في المدينة أو صديق، فإن أجاب بالنفي ذهبوا به إلى دار الضيافة فآووه وأطعموه على نفقة السكان، لهذا تحدثنا المصادر عن وجود دار للضيافة وتوفير المبيت والإطعام لكل محتاج غريب بمدينة بولعوان خلال القرن العاشر الهجري.

ثم إن هذا النوع من التضامن والإحسان عرف خطوة ملموسة مع تبلور التصوف وقيام الزوايا بالمغرب، فلقد كان من مهام هذه الزوايا إسعاف المحتاجين ومساعدة الضعفاء ، وإطعامهم ذوي الحاجة وكسوتهم ، وإيواؤهم ، فقد كان أبو العباس السبتي ينفق راتبه على المحتاجين بالزاوية، وكان الشيخ محمد البوريدي أحد أقطاب الطريقة الدرقاوية يشترط على مريديه أن يتصدقوا بكل ما يفضل عليهم من الرزق ولا يمسكون إلا ما يقتاتون به هم وأهل دارهم، وبناء على هذا التصرف أضحى أهل المال يرصدون الأوقاف الكثيرة على الزوايا والمساجد لاستمرار الإسعاف بالطعام والمأوى والكسوة للمحتاجين والضعفاء على الدوام. ونذكر هنا أن مدنا مغربية كثيرة عرفت الكثير من هذه الأوقاف، وأن عائلات كثيرة كانت توقف ثمن طعام يوزع على المحتاجين في يوم معين من كل أسبوع ، أو توقف دورا، وأرضا تستغل من طرف المحتاجين أو يصرف ثمنها على المساجد والزوايا التي تقوم بهذا الدور، هذا بالإضافة إلى الأحباس الخاصة بالمرضى والغرباء واليتامى ، ومن باب التضامن والإحسان ما كان يوفره السكان . على سبيل التبرع . لطلبة القرآن والعلم من ألواح ومواد للكتابة وأماكن للإيواء وطعام يومي ، فقد كانت توجد في مدن كثيرة دكاكين معروفة تقدم للطلبة المحتاجين الألواح والأقلام والمداد، ويؤدي ثمن هذه الأشياء الميسورين من السكان ، كما كانت هناك أوقاف عديدة خاصة بالمساجد توفر للطلبة جل حاجياتهم. وحول الكتاتيب القرآنية والمساجد التي تدرس بها العلوم كان السكان يبنون عددا من الغرف يسكنها الطلبة على وجه الإحسان.

وقد كان للدولة دور متميز في هذه الأشكال من التضامن والإحسان فقد كان السلطان أبو عنان المريني(يجري الصدقة على المساكين بكل بلد من بلاده على الدوام.. كما كان يكسو المساكين والضعفاء والعجائز والمشايخ والملازمين للمسجد بجميع بلاده). وقد قدم السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي للمحتاجين في مجاعة 1190هـ مساعدات كبيرة فقد أوقف :(دورا لاستعمال الطعام للأرامل، والأيتام والمساكين ، ولم يزل كذلك حتى صرف الله تلك الأزمة عن المسلمين) ، كما أسلف القبائل في البادية أموالا كثيرة يستعينون بها إلى أن يذهب الله عنهم أيام الحاجة والفقر فيردوها إليه ، إلا أنه عند انتهاء الأزمة وحلول أيام الخصب والرخاء قدم إليه أهل البادية ليردوا ما في ذمتهم فرفض قبول ذلك وقال: ما أعطيتكم ذلك لأسترجعه ، وإنما ذكرت لكم أنه علة وجه السلف فقط لئلا يستبد به الأشياخ والأعيان إذا سمعوا بأنه هبة.

ويطول بنا الكلام إذا نحن ذهبنا نستقصي أخبار الملوك ومساهماتهم الإحسانية عبر العصور، ومن هذه العهود المشار إليها إلى عهد جلالة المغفور له الحسن الثاني رحمه الله ووارث سره جلالة الملك محمدالسادس نصره الله فقد كانت لهم جميعا مساهمات إحسانية ومواقف تضامنية في كل مناسبة وعند كل نازلة يصعب تعدادها ويستحيل استحضارها كلها، لهذا أكتفي بهذه الإشارات وأختم فأقول: هكذا كانت حياة أجدادنا وهكذا كانوا متضامنين ومتآزرين يساعد بعضهم بعضا، ويشد بعضهم أزر بعض، وتلك تعاليم الإسلام وأسسه التي جاء بها ودعا إليها نبيه صلى الله عليه وسلم فليت شعري هل نحن كما كانوا وهل نتآزر ونتآخى كما تراحموا وتضامنوا؟

تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله نظمت جمعية العدوتين لموسيقى وأغنية الطفل مابين 2و5 أبريل 2004 مهرجانا دوليا كرمت فيه الأستاذ الأديب محمد الخضر الريسوني

■ إعداد : حسن الكناني

أبت جمعية العدوتين للموسيقى إلا أن تكرم ضمن فعاليات المهرجان الحادي عشر لموسيقى وأغنية الطفل الذي نظم تحت شعار "الموسيقى رسالة السلام" الأستاذ الأديب محمد الخضر الريسوني، ففي حفل بهيج حضره العديد من أصدقاء المكرم. إلى جانب جمهور غفير بقاعة أبا حنيني بالرباط، تدخل مجموعة من المهتمين بالمجالات التي ينشط فيها المحتفى به. وقد ركز المتدخلون على الخصال الحميدة التي يتميز بها، كما تحدثوا عن الذكريات التي احتفظت بها ذاكرتهم، وكانت لائحة المتدخلين على الشكل التالي:

. المسرحي والزجال: أحمد الطيب لعلج
. مصطفى بغداد : إذاعي (الإذاعة الوطنية) الأمين العام للنقابة الحرة للموسيقيين المغاربة.
. محمد عاطفي : مخرج سينمائي وتلفزيوني.
. فريدة نور : قيدومة الأذاعيات بالإذاعة الوطنية
. محمد البوعناني: كاتب وشاعر
. جلول دكداك : شاعر
. الحسين أبو ريكة: عن رابطة الشعر الغنائي
. محمد الطاهر التوزاني: الشاعر والكاتب العام لجمعية العدوتين للموسيقى.

يذكر أن الكاتب والأديب محمد الخضر الريسوني من مواليد 1930 بتطوان، حيث أخذ الدروس الابتدائية والثانوية بها، درس بجامعة القرويين بفاس. وعمل رئيسا للبرامج الثقافية والفنية براديو درسة تطوان. خلال فترة المقاومة قدم برنامج "صوت المغرب الحر" ردا على افتراءات "صوت المغرب" براديو ماروك. انتقل إلى الإذاعة الوطنية بالرباط سنة 1957 وعمل منتجا للبرامج الأدبية والدينية سنة 1962 أعد وقدم برامج في التلفزيون وضمنها مسرحيات اجتماعية وتاريخية، وفي سنة 1966 انتقل إلى مدريد بإسبانيا والتحق باستوديوهات (براد وديل راي) وقضى حوالي سنة يتدرب على طريقة كتابة النصوص السينمائية والمسرحية الخاصة بالتلفزة وحصل على دبلوم الانتاج، كتب للتلفزيون 78 مسرحية في إطار التربية الإسلامية قدمت للمشاهدين سنتي 1979 و1980.

. الأستاذ الأديب محمد الخضر الريسوني شغل بالإذاعة منصب رئيس مصلحة الإنتاج العربي، وساهم في تقديم عدة برامج إذاعية، سنة 1984 أسندت له مهمة الإشراف على لجنة الإنتاج الشعري، ومن سنة 1975 إلى الآن وهو يقدم المجلة الإسلامية كل يوم جمعة ومن مؤلفاته في مجال القصة والرواية والسيرة الذاتية:

. أفراح ودموع. مجموعة قصصيه. سنة 1951.
. صور من حياتنا الاجتماعية. مجموعة قصصيه. سنة 1953.
. ربيع الحياة. مجموعة قصصيه. سنة 1957.
. رحلة نحو النور. سيرة ذاتية. سنة 1984.
. حياتي مع الاذاعة والتلفزيون. سنة2002.
. تأملات وخواطر. سنة 2002

وللكاتب الأستاذ محمد الخضر الريسوني عشرات من النصوص الغنائية بالاذاعة ساهم في تلحينها وأدائها نخبة من الملحنين والمبدعين.

وعلى صعيد العالم العربي شارك في مهرجان الأغنية للإذاعات العربية بعمان بالأردن بنص عنوانه: "الدنيا لنا" بتلحين الفنان عز الدين المنتصر وغناء المطربة أمال عبد القادر. حصل على الجائزة الثانية بعد مصر، وفي المهرجان الحادي عشر للأغنية العربية الذي نظمه اتحاد الإذاعات العربية بالرباط آخر السنة الماضية ساهم بنص غنائي بعنوان: "ظلال الشك" من تلحين الفنان عز الدين المنتصر غناء المطربة نزهة الشعباوي حصل على الجائزة الأولى : "الميكروفون الذهبي".

من وصايا الرسول (ﷺ)

■ الأستاذ : أحمد تشكيرت

القسم الثاني :

الوصيةالرابعة : أمره (ﷺ) لأمته بأن يحب المسلم للناس ما يحب لنفسه من الخير «وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما». فالإسلام لا يريد للمسلم أن يتنعَّم وحده في هذه الحياة بما آتاه الله من مال ومن علم وصحة ومكانة ومتاع وسعة في الرزق. ولكنه يريد من المسلم أن يكون محباً للآخرين محبة قلبية صادقة تجعله يوصل إليهم شيئا من معونته وعطفه قدر المستطاع عملاً بالحديث الشريف «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» وقوله (ﷺ) «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وعلى هذا فالمؤمن يحب الناس جميعاً. لأنهم إخوته في الآدمية وشركاؤه في العبودية لله جمع بينه وبينهم رحم ونسب كما جمع بينهم هدف مشترك وعدو مشترك.

أما الرَّحم العامة فقد قال الله فيها « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها. وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً. واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام» النساء. 150 والمراد بالأرحام هنا الإنسانية التي تصل بين الناس جميعاً.

وأما الهدف المشترك والعدو المشترك فقال الله فيهما « يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً.

والمسلم يشعر بإخوته لبني الإنسان جميعا، فقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله (ﷺ) يقول في دبر كل صلاة « اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أنك الرب وحده لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة».

هذا هو شعور المسلم نحو الناس جميعا. لا حسد ولاحقد ولا كراهية ولا أنانية. إذ المؤمن نقي الفؤاد يدعو بما دعا به الصالحون «ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين ءامنوا ربنا إنك رؤوف رحيم» الحشر : 10

الوصية الخامسة : النهي عن كثرة الضحك «ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب» وذلك لما في الضحك من الغفلة عن حقوق الله وحقوق العباد، بسبب انشغال المرء باللهو والعبث المؤدي إلى موت القلوب والنفوس.

أما الانشراح والانبساط مع الأحبة والإخوان والأصدقاء في حدود الآداب الفاضلة. فهو أمر مرغوب ومحمود. فقد كان رسول الله (ﷺ) خير الناس تبسما وأحسنهم لطفا ومعاشرة وهو القائل «تبسمك في وجه أخيك صدقة» وأيضاً فإن التخفيف والترفيه عن الناس في بعض الأوقات أمر مفيد ومريح للجسم والعقل والنفس معين للمرء في استعادة الحيوية والقوة والجدية في العمل.

وعلى هذا فالمنهي عنه في الإسلام هو الإكثار من الضحك في أكثر الأوقات. وإضاعة الوقت في اللهو والعبث. وفي القيل والقال الذي يجر إلى الوقوع في أعراض الناس ويشتغل بأحوالهم الخاصة ولا يجني المسلم من وراء ذلك إلا الذنوب والآثام ولم يخلق الإنسان للهو والعبث بل أنيطت به رسالة عظمى وهي القيام بالتكاليف الشرعية وعمارة الأرض٪

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1067
السنة37
الجمعة 17 ربيع الاول 1425 هـ
الموافق 7 ماي 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1067 الجمعة 17 ربيع الأول 1425 هـ .الموافق 7 ماي 2004م

في بادرة غير مسبوقة:

أمير المؤمنين يطلق إسمه الشريف على رابطة علماء المغرب ويقول:

إمارة المومنين موحدة للأمة ورائدة لتقدمها

تنظيم الرابطة سيكون بظهير شريف يجعل منها جهازا متفاعلا مع المجالس العلمية

وفيما يلي نص الخطاب الملكي

الحمده لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

حضرات السيدات والسادة

لقد دأبنا منذ تقلدنا إمارة المؤمنين ملتزمين بالبيعة المقدسة، وماتقتضيه من حماية الملة والدين، على إيلاء الشأن الديني الأهمية الفائقة، والحرص على قيام مؤسساته بوظائفها على أكمل وجه، والعناية بأحوال الساهرين عليها، والسير على النهج القويم لأسلافنا المنعمين، في الحفاظ على الأمن الروحي للمغرب، ووحدة المذهب المالكي.

وإذا كان من طبيعة تدبير الشؤون الدنيوية العامة الاختلاف، الذي يعد من مظاهر الديمقراطية، والتعددية في الآراء لتحقيق الصالح العام، فإن الشأن الديني، على خلاف ذلك، يستوجب التشبث بالمرجعية التاريخية الواحدة للمذهب المالكي السني، الذي أجمعت عليه الأمة، والذي نحن مؤتمنون على صيانته، معتبرين التزامنا دينيا بوحدته المذهبية، كالتزامنا دستوريا بالوحدة الترابية والوطنية للأمة، حريصين على الاجتهاد الصائب، لمواكبة مستجدات العصر.

وتجسيدا لما أعلنا عنه في خطاب العرش الأخير، وخطاب 29ماي 2003 بالدار البيضاء، وما اتخذناه من إجراءات وتدابير لازمة لذلك، ها نحن اليوم، نشرع في إرساء وتفعيل ماسهرنا على إعداده، من استراتيجية مندمجة وشمولية، متعددة الأبعاد، ثلاثية الأركان، لتأهيل الحقل الديني وتجديده، تحصينا للمغرب من نوازع التطرف والإرهاب، وحفاظا على هويته المتميزة بالوسطية والاعتدال والتسامح.

أما الركن المؤسسي، فيقوم على إعادة هيكلة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بإصدارنا لظهير شريف، بإحداث مديرية للتعليم العتيق، وأخرى مختصة بالمساجد، وإعادة النظر في التشريع المتعلق بأماكن العبادات، بما يكفل ملاءمتها للمتطلبات المعمارية، لأداء الشعائر الدينية في جو من الطمأنينة، وكذا ضبط مصادر تمويلها، وشفافيتها وشرعيتها واستمراريتها.

وقد أمرنا بتعيين مندوبين جهويين للوزارة، ليسهروا على التدبير الميداني الحديث للشؤون الإسلامية، مؤكدين على إحياء مؤسسة الأوقاف، وعقلنة تسييرها، لتظل وفية لمقاصدها الشرعية والتضامنية الاجتماعية، ومتنامية بإسهام المحسنين فيها.

وإدراكا من جلالتنا بأن هذا الركن المؤسسي، لا يمكن أن يستقيم إلا بتعزيزه بالركن التأطيري الفعال، فإننا قد وضعنا طابعنا الشريف، عل ظهائر تعيين أعضاء المجالس العلمية، في تركيبتها الجديدة، مكلفين وزيرنا في الأوقاف والشؤون الإسلامية بتنصيبها، لتقوم من خلال انتشارها عبر التراب الوطني، بتدبير الشأن الديني عن قرب، وذلك بتشكيلها من علماء، مشهود لهم بالإخلاص لثوابت الأمة ومقدساتها، والجمع بين فقه الدين والانفتاح على قضايا العصر، حاثين إياهم على الإصغاء إلى المواطنين، ولاسيما الشباب منهم، بما يحمي عقيدتهم وعقولهم من الضالين المضلين، حريصين على إشراك المرأة المتفقهة في هذه المجالس، إنصافا لها، ومساواة مع شقيقها الرجل. وصيانة للحقل الديني من التطاول عليه من بعض الخوارج عن الإطار المؤسسي الشرعي، فقد أسندنا إلى المجلس العلمي الأعلى اقتراح الفتوى على جلالتنا، بصفتنا أميرا للمؤمنين ورئيسا لهذا المجلس، فيما يتعلق بالنوازل الدينية، سدا للذرائع، وقطعا لدابر الفتنة والبلبلة، مؤكدين أن توسيعنا وتجديدنا للمجالس العلمية، لا يعادله إلا حرصنا على ألا تكون جزرا مهجورة من لدن العلماء غير الأعضاء بها، بل نريدها ملتقى لكل العلماء المتنورين.

وفي هذا الصدد، أبينا إلا أن يشمل إصلاحنا رابطة علماء المغرب، لإخراجها من سباتها العميق، وإحيائها بشكل يجعل منها جهازا متفاعلا مع المجالس العلمية، وذلك بإصدار ظهير شريف لتنظيمها وتركيبها في إطار يحمل إسمنا الشريف، بحيث نطلق عليها إسم الرابطة المحمدية لعلماء المغرب، مكونة من العلماء الموقرين، الذين يحظون بسامي رضانا وعطفنا.

وعلما منا بأن الوظائف التأطيرية المنوطة بهذه الهيئات، ستظل صورية، ما لم تقم على الركن الثالث الأساس، المتمثل في التربية الإسلامية السليمة، والتكوين العلمي العصري، فإننا، مواصلة للجهود الرائدة التي بذلها والدنا المنعم ، جلالة الملك الحسن الثاني، قدس الله روحه، نصدر تعليماتنا لحكومتنا، قصد اتخاذ التدابير اللازمة، بأناة وتبصر، لعقلنة وتحديث وتوحيد التربية الإسلامية، والتكوين المتين في العلوم الإسلامية كلها، في نطاق مدرسة وطنية موحدة.

وفي هذا السياق، حرصنا على تأهيل المدارس العتيقة، وصيانة تحفيظ القرآن الكريم، وتحصينها من كل استغلال أو انحراف يمس بالهوية المغربية، مع توفير مسالك وبرامج للتكوين، تدمج طلبتها في المنظومة التربوية الوطنية، وتجنب تخريج الفكر المنغلق، وتشجيع الانفتاح على الثقافات.

وإننا لنتوخى من كل ذلك، ليس فقط تمكين بلادنا من استراتيجية متناسقة، كفيلة بتأهيلها لرفع كل التحديات في مجال الحقل الديني، بقيادة إمارة المؤمنين، باعتبارها موحدة للأمة ورائدة لتقدمها، بل أيضا بالإسهام العقلاني الهادف لتصحيح صورة الإسلام، مما لحقها من تشويه مغرض وحملات شرسة، بفعل تطرف الأوغاد الضالين، وإرهاب المعتدين، الذي لا وطن ولا دين له.

إن الإسلام الأصيل، كما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والذي ارتضاه المغاربة دينا لهم، لملاءمته لفطرتهم السليمة، وهويتهم الموحدة، على طاعة الله ورسوله، ولأمير المؤمنين، الذي بايعوه على ولاية أمرهم، فحماهم من بدع الطوائف وتطرف الخوارج عن السنة والجماعة.

وستجدون خديم المغرب الأول، في طليعة المتصدين لكل التيارات الهدامة، والدخيلة على مجتمعنا، الغيور على نقاء ووسطية الإسلام، من قبل كل المغاربة، بما فيهم رعايانا الأوفياء المقيمون بالخارج، مستبشرين خيرا باقتران انطلاق هذا الإصلاح الشامل بحلول عيد المولد النبوي الشريف، بكل مايرمز إليه ميلاد جدنا المصطفى عليه السلام، وإلى رسالته، التي كانت فجرا لانبثاق حضارة إسلامية سمحة، أسهمت بنصيبها الوافر في ترسيخ المثل الإنسانية السامية، وتكريم الإنسان بإخراجه من الظلمات إلى النور، والدعوة إلى التعاون على البر والتقوى، والنهي عن الإثم والعدوان، سائلين الله أن يصلح أعمالنا وأعمالكم، ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.